

رواية

المجلس
الأعلى
للثقافة



المشروع القومي للترجمة

إيزابيل

تأليف: أندريه جيد
ترجمة: حمادة إبراهيم

405

المشروع القومي للترجمة

إيزابيل

(رواية)

تأليف: أندريه جيد

ترجمة: د. حمادة إبراهيم



٢٠٠٢

المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٤٠٥
- إيزابيل (رواية)
- أندريه جيد
- د . حمادة إبراهيم
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ترجمة لمختارات من شعر جون دن
عن كتابه :

Seventeenth - Century Prose and Poetry

2nd Edition

Selected and Edited By :

A . M . Witherspoon

F . J . Wamke

Harcourt , Brace & World, Inc.

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084 E. Mail : asfour @ onebox. com

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة .

تقديم

شاعر وروائي ومؤلف مسرحي وكاتب مقال، وواحد من أعظم مفكرى القرن العشرين، ولد فى باريس عام ١٨٦٩ ومات فيها عام ١٩٥١. كان أبوه أستاذا للقانون، وأمه نورماندية بورجوازية وكلاهما من البروتستانت المتشددين، مات أبوه وهو لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، فلم يضطر إلى طرق أبواب الرزق، إذ كانت أسرته على درجة عظيمة من الثراء، مما أتاح له فرصة القراءة والتأمل.

قام على تربيته نفر من النساء نخص منهن أمه، وكانت تشدد الرقابة عليه، فعاش الطفل فى جو من الكبت والتضييق الشديدين، الأمر الذى يفسر نزعة التمرد والثورة التى سنجدها فى كتاباته وبخاصة فيما يتعلق بالأسرة.

لقد بدت ملامح هذا التمرد مع باكورة أعمال "جيد" : "كراسات أندرية فالتير" التى كتبها فى الفترة بين العشرين والثامنة والعشرين من عمرة بتأثير تربيته المتزمنة، ونتيجة لاتصاله بكل من "مالأرميه" ، "هويسمان" و "ماتريلينك".

وإذا كان "جيد" فى هذه الكراسيات يعبر عن أماله فى وجود الأسرة المثالية، فإنه منذ ١٨٩١، أى منذ كتب "بحث نرسييس"، يؤرخ انحطاط

الرجل باليوم الذى فكر فيه أن يتخذ من المرأة رفيقا له، وظل "جيد" طوال حياته يمجّد الحرية ويسعى إلى تحرير نفسه وتحرير الإنسان، ويرى أن على كل إنسان أن يكتشف ذاته بنفسه ويعمل على السمو بها عن طريق العمل الدائب المتواصل، وهذا ما نجد صداه فى المؤلفات التى كتبها فى شبابه مثل: "الأقوات الأرضية"، "الشاذ" أو "الإباحي".

وبعد أن انقضت فترة الشباب، بدأ "جيد" يشعر بالصراع بين المغامرة وبين التعقل، بين المتعة الذاتية وبين التضحية والإيثار، فبعد "ميشيل" بطل "الشاذ" الذى لا يأبه لأى قيد يقدم لنا "أليسا" بطلة "الباب الضيق"، التى ترفض السعادة الدنيوية، وبعد "لافكاديو" الذى يهزأ بالقوانين والعرف، نرى بطل "السيمفونية الريفية"، رجل الدين الذى يكافح نزواته، ثم كتب "جيد" "المزورون" وهى تتضمن كل آرائه القديمة والمستقبلية.

وبعد ذلك تأتى مرحلة الاعترافات وتشمل: "لو أن البذرة لا تموت"، وهى مراسلات جيد مع "فاليرى"، "كلوديل"، ثم "اليوميات" و "تيزيه"، وفى هذه الأعمال يسجل جيد ما يروقه.

وكان جيد والمجتمع الفرنسى على غير اتفاق، ولكن "جيد" حصل فى عام ١٩٤٧ على نصر عالمى عندما استحق جائزة نوبل.

وكان جيد منذ عام ١٨٨٩ قد شرع فى كتابة يومياته التى نشرها عام ١٩٣٩، وظل يضيف إليها حتى عام ١٩٤٧، وأصبحت هذه اليوميات ذات قيمة عظيمة فيما يتعلق بشخصية الكاتب ومؤلفاته وأحداث عصره.

فى أواخر حياة "جيد" بدأ الناس يتحدثون عنه بنوع من التعظيم والتبجيل انعكس على الكاتب الكبير سلبا، فملاؤه الغرور الذى يصيب كثيرين من الكتاب والفلاسفة حينما يرفضون كل غيب دينى وأية قاعدة لا تفرزها عقولهم. نلمس صدق ذلك فى هذه العبارات على لسان "تيزيه" أحد أبطاله معبرا عن خلاصة تجارب جيد فى حياته الطويلة:

"لقد أقمت مدينتى، ومن بعدى، سيسكنها فكرى مخلدا إلى الأبد، وأنا أشعر بالرضا لأنى أطرق باب الموت وحيدا، فقد تمتعت بخيرات الأرض، ويطيب لى أن أتصور أن الناس، من بعدى، وبفضلى، سيكونون أسعد حالا، وأفضل وضعاء، وأكثر حرية، ومن أجل خير الأجيال البشرية القادمة، قمت بعملى. لقد عشت حياتى".

أما عن "إيزابيل" فهى من أكثر كتابات "جيد" اعتدالا، فإذا كان "جيد" يهاجم التزمت البغيض عند رجل الدين والرقابة الشديدة التى فرضها الوالدان على الفتاة، فإنه لا يؤيد إيزابيل فى إسرافها فى الانطلاق والتحرر من كل قيد.

د. حمادة إبراهيم

شخصيات الرواية

Gerad Lacase	جيرار لاکاز
Benjamin Floche	السيد / بنيامين فلوش
Mme Floche	مدمام فلوش
Saint- Aureol	سانت - أوريول
Mme de Saint-Aureol	مدمام دسانت أوريول
L'Abbé Sanyal	القس سانتال
Isabelle	إيزابيل
Casimir	كازيمير
Mlle Verdure	الآنسة فيردور
Gratien	جراسيان

قام "جيراز لاكاز"، الذى تلاقينا عنده فى شهر أغسطس عام ١٨٩١، باصطحابى أنا و "فرنيس جام" فى زيارة لقصر "الكارفورش" الذى سرعان ما اندثرت آثاره ولم يبق منه سوى أطلال خربة وحديقة واسعة مهملة، كان الصيف المتبهرج يصل فى أرجائها ويجول، ولم يعد هناك ما يحمى مدخل القصر، فالخندق أصبح مردوماً إلى نصفه، والسياج المحيط به تحطم، والباب الحديدى لم يعد مكيناً، فانحرف مستسلماً لأول دفعة من كتف أحدنا، كذلك لم تعد هناك ممرات، فقد جاوزت الأرض الخضراء حدودها، فكنت ترى بعض الأبقار طليقة ترعى الكأ الغزير، بينما كانت بعض الأبقار الأخرى تنشد مكاناً رطباً وسط الأدغال المترامية، وكان الناظر لا يكاد يميز، هنا وهناك، بين هذا الفيض البرى، زهرة شاذة أو أوراق شجرة غريبة تختلف عن النباتات القديمة، وبقيت صابرة تكاد تخنقها أنواع النباتات الشائعة.

كنا نسير فى أثر "جيراز" دون أن ننطق بكلمة، فقد كنا مبهورين بروعة المكان والفصل والساعة، وكنا نشعر بكل ما ينطوى عليه ذلك الرخاء من حزن وهجران، وبلغنا سلم القصر، وكانت درجاته الأولى غارقة فى الأعشاب، أما درجاته العليا فقد كانت محطمة ومنقصة بعضها عن البعض الآخر، ولكننا ما أن وصلنا أمام أبواب حجرة الاستقبال، التى كانت تستخدم نوافذ فى الوقت نفسه، حتى اعترضت طريقنا مصاريعها المنيعه، ولم نستطع أن ندخل القصر إلا من فتحة

القبو، تسللنا خلالها كما يفعل اللصوص، وكان ثمة سلم يفضى إلى المطابخ، فلم نجد باباً واحداً من الأبواب الداخلية مغلقة.. وتقدمنا منتقلين من حجرة إلى حجرة فى حذر؛ لأن الأرضية كانت تميد تحتنا كأنما توشك أن تنهار، وكنا نكتم صوت خطواتنا، ليس خشية أن يكون هناك من يسمعنا، وإنما لأن الصدى الذى أحدثه وجودنا فى ذلك القصر الخالى الذى كان يكتنفه السكون المطبق كان يدوى بلا تحفظ ولا مراعاة، ويكاد يفزعنا، وكانت نوافذ الطابق الأرضى تخلو من ألواح كثيرة.

وفى شبه الظلام الذى كان يكتنف حجرة الطعام، كانت هناك أعشاب البينيونيا ترسل من خلال مصراعى النافذة سيقاناً ضخمة لينة بيضاء اللون.

كان "جيرار" قد تركنا، فظننا أنه أثر أن يرى وحده مرة أخرى هذه الدار التى عرف أصحابها، فواصلنا زيارتنا بدونه، وربما كان قد سبقنا إلى الطابق الأول مجتازاً تلك الحجرات الجرداء التى كانت تخيم عليها الكآبة، وكان يوجد فى إحدى تلك الحجرات غصن من البقس لا يزال يتدلى على الجدار يقيده إلى إيزيم شريط حريرى ذوى لونه، ولاح لى أنه يتأرجح عند طرفى رباطه فى ضعف فأيقنت أن "جيرار" قد انتزع منه غصناً صغيراً عند عبوره قبل قليل.

ولقيناه فى الطابق الثانى قريباً من نافذة أحد الممرات، وكانت هذه النافذة قد نزع عنها زجاجها وكانوا قد أنفذوا منها إلى الداخل حبلاً

كان يتدلى من الخارج، وكان هذا الحبل لأحد الأجراس، ولقد هممت بجذبه فى هواده، عندما شعرت بذراع "جيرار" تقبض على ذراعى، وبدل أن توقف حركتى زادات من مداها.

وعلى حين فجأة، دوى صوت محبوس، قريب منا وشديد، بحيث إنه جعلنا ننتفض فزعين، وبعد ذلك، وعندما عاد السكون إلى الإطباق، سمعنا دقتين متباعدتين لم يلبث أن غاب صداهما.

والتفت ناحية "جيرار" فرأيت شفتيه ترتعدان، وقال:

- هيا ننصرف، فإنى فى حاجة إلى استنشاق هواء آخر.

وما أن أصبحنا فى الخارج، حتى اعتذر عن اصطحابنا بحجة أنه يعرف شخصاً فى الأحياء المجاورة ويريد أن يستفسر عن أحواله، ولما فهمنا من لهجته أنه ليس من اللائق أن نصحبه، عدت أنا و "جام" إلى "الر..." حيث لحق بنا "جيرار" فى المساء.

وبعد قليل، قال له "جام":

- صديقى العزيز، أعلم أنتى قررت ألا أروى أية قصة قبل أن تطلعنا على هذه القصة التى نراها تملك عليك فؤادك- وللعلم فقد كانت قصص "جام" مبعث المتعة فى سهراتنا.

فبدأ "جيرار" قائلاً:

- يسعدنى أن أروى لكم القصة التى كانت هذه الدار التى قمنا بزيارتها قبل قليل، مسرحاً لها، ولكنى بالإضافة إلى أنتى لا أستطيع أن

أعرضها أو أن أستعيدها كاملة غير متقوصة، فإنتى كذلك أخشى ألا أتمكن من ذلك فى نظام وتسلسل، دون أن أسلب كل واقعة منها ذلك السحر الذى يغلف الألفاظ والذى كان فضولى فيما مضى يخلعه عليها.

فعقب "جام" قائلاً:

- لا تبال بنظام أو تسلسل.

وقلت أنا.

- ما الداعى إلى رواية الوقائع طبقاً لتسلسلها التاريخى؟ وما المانع

فى أن تعرضها كما عرضت لك؟

فقال "جيرار":

- إذن تتيحان لى أن أتحدث عن نفسى كثيراً.

فرد "جام" على الفور قائلاً:

- لا أحد منا يفعل غير ذلك.

وإليك القصة التى رواها جيرار:

يكان أن يكون من العسير اليوم أن أدرك الלהفة التي كانت تدفعني إلى الحياة في ذلك الوقت، فقد كنت في الخامسة والعشرين لا أكاد أدري من الحياة شيئاً إلا عن طريق الكتب، ولعل هذا هو السبب الذي من أجله كنت أظن نفسي روائياً، فقد كانت لا أزال أجهل كيف أن الأحداث تحجب عن عيوننا، في دهاء وخبث، ذلك الجانب الذي قد يزيد اهتمامنا بها، وكيف أنها تستغلق وتمتنع أمام من لا يعرف كيف يفتحهما.

كنت في ذلك الوقت أعدد للدكتوراه رسالة عن تاريخ مواعظ "بوسويه"^(١) ولم يكن ذلك عن ميل خاص يجذبني إلى بلاغة المنابر، وإنما وقع اختياري على هذا الموضوع تكريماً لأستاذي الكهل "ألبير دينوس" الذي كان كتابه العظيم "حياة بوسويه" وشيك الصدور، وما أن علم الأستاذ "دينوس" بموضوع دراستي حتى أبدى استعداداه لمعاونتي في معالجته وتناوله، وكان من أقدم أصدقائه شخص يدعى "بنيامين فلوش"، كان عضواً في مجمع الخطوط والآداب.

(١) أسقف وخطيب وكاتب فرنسي (١٦٢٧ - ١٧٠٤) أصبح في عام ١٦٨١ مطرانا لمدينة "مو"، ومن هنا جاء لقبه "نسر مو" كما سيرد في هذا الكتاب. (المترجم).

وكان هذا الصديق يملك من الوثائق ما قد يفيدنى فى بحثى، وبخاصة نسخة من التوراة فيها شروح وحواش بخط "بوسويه"، وكان السيد "فلوش" قد اعتزل الحياة منذ ما يقرب من خمسة عشر عاماً، واعتكف فى قصر "الكارفورش" الذى كان الناس يطلقون عليه فى أغلب الأحيان "كارفور"، وهو من ممتلكات الأسرة فى ضواحي "بون ليفيك" ولم يعد السيد "فلوش" يبرح قصره هذا، وكان من دواعى سروره أن يستقبلنى فيه وأن يضع تحت تصرفى مستنداته ومكتبته وعلمه الغزير الذى قال لى عنه الأستاذ "دينوس" إنه علم لا ينضب له معين.

وبدأ السيد "دينوس" والسيد "فلوش" يتبادلان الرسائل، وتبين أن الوثائق كانت أكثر مما توقعت فى بادئ الأمر بناء على تقدير أستاذى، ولم يعد الموضوع مجرد زيارة، وإنما تحول إلى إقامة فى قصر "الكارفورش" تلتطف السيد "فلوش" فعرضها علىّ بناء على توصية من السيد "دينوس"، ومع أن السيد "فلوش" وزوجته كانا بلا ولد، فقد كانا لا يعيشان فى القصر بمفردها.

إن بعض الكلمات التى صدرت عفوا عن السيد "فلوش" وتولاها خيالى، جعلتني أتوقع أن أجد فى القصر صحبة جميلة سرعان ما اجتذبتني أكثر من وثائق القرن السابع عشر الجليل المعفرة بالأثرية، وإذا بى أجدنى أدخل القصر لاطالبا للعلم وإنما للمغامرة.

وإذا بى أملؤه بالمغامرات قبل أن أدخله. "الكارفورش" ! كنت أردد هذا الاسم الغامض وأحدث نفسى قائلا: ها هنا يتردد هرقل. . . إننى

كذلك أعرف ما ينتظره على درب الهدى والفضيلة، ولكن، الطريق الآخر؟... الطريق الآخر...؟

وفى منتصف سبتمبر تقريبا، جمعت أحسن ما كان فى صوان ملابسى من ثياب متواضعة، وجددت ما كان لدى من أربطة العنق، ثم رحلت.

وعندما بلغت محطة "بروى - بلانجى" بين "بون ليفيك" و"ليزيو"، كان الليل قد أسدل كل أستاره تقريبا، وكنت الوحيد الذى أنزل من القطار، وأقبل قروى يرتدى زى الخدم، فأخذ حقيبتى وصحبنى إلى العربة التى كانت تقف فى الجانب الآخر من المحطة، فإذا بمنظر الجواد والعربة يوقف من اندفاع خيالى وانطلاقه، فلا يمكن للإنسان أن يتصور منظرا أكثر منه بشاعة وقبحا، وعاد القروى الحوذى ليخلص صندوق الأمتعة الذى كنت قد شحنته، وتحت هذا الثقل زاءت زنابك العجلات، ومن داخل العربة انتشرت رائحة خانقة أشبه بتلك التى تفوح من مرقد الدجاج... وأردت أن أنزل زجاج الباب، إلا أن مقبضه الجلودى نُزع فى يدي، وكان السماء قد أمطرت أثناء النهار، فكان الطريق موحلا، وعند أول منحدر سقطت قطعة من طاقم الجواد، فأخرج الحوذى من تحت مقعده طرفا من حبل، وتهيأ لإصلاح مجرة العجلة، وكنت قد نزلت من العربة، فعرضت على الحوذى أن أمسك له المصباح الذى كان قد أشعله منذ قليل، وعندئذ استطعت أن أرى أن زى الرجل المسكين، كما هى حال طاقم الجواد، قد أعيد رتقه أكثر من مرة، فقلت عفوا:

- إن الجلد قديم بعض الشيء .
فرمقنى بنظرة وكأنى شتمته ، وقال بلهجة تكاد تكون فظة :
- لعمري ، ومع كل فمّن حسن حظك أن تمكنا من المجيء
للقائك .

فسألته بأرق صوت نطقت به :

- هل المسافة بعيدة من هنا حتى القصر؟

ولم يجب برد مباشر ، بل قال :

- من المؤكد أننا لا نقطع هذه المسافة كل يوم .

ثم أردف بعد لحظة :

- ها قد مضت ستة أشهر تقريبا ولم تخرج العربة .

فعقبت في محاولة يائسة لفتح باب المناقشة :

- أولا يتتزه سادتك؟

- لعلك تظن أنه ليس لدينا من عمل سوى ذلك!

كان قد انتهى من إصلاح العطب ، فدعاني بإشارة إلى الصعود مرة
أخرى ، وعندئذ انطلقت بنا العربة من جديد .

كان الجواد يجتهد في ارتقاء المرتفعات ، ويتعثر ويكبو في
المنحدرات ويعدو في السهل عدوا مخيفا ، وفي بعض الأحيان كان
يتوقف على حين بغتة ، وحدثت نفسي قائلاً : "على هذا النحو الذي
نسير عليه ، سنصل إلى "الكارفور" بعد أن يكون أهل الدار قد فرغوا

من تناول طعامهم قبل وقت طويل، بل (الجواد يتوقف مرة أخرى) وحتى بعد أن يكونوا قد ناموا". كنت أشعر بجوع شديد، فبدأ مزاجي ينحرف، وحاولت أن أشاهد البلدة، وإذا بالعربة، ودون أن ألاحظ، قد انحرفت عن الطريق الرئيسي وسلكت طريقاً آخر أضيق وأقل تمهداً بكثير، ولم تكن مصابيح العربة تضيء عن يميننا وشمالنا إلا سياجا متصلاً، كثيفاً مرتفعاً، كان يبدو أنه يحاصرنا ويسد علينا السبيل، يفسح لنا الطريق في لحظة مرورنا، ثم لا يلبث أن يطبق من جديد بعد عبورنا.

وما أن بلغت العربة ربوة وعرة الارتقاء، حتى توقفت من جديد، وأتى الخوذي إلى الباب ففتحه ثم قال بكل بساطة:

- هل يتكرم سيدي بالنزول؟ إن المطلع وعرب بعض الشيء على الجواد.

وصعد بنفسه المطلع ممسكاً بزمام الجواد، وفي منتصف المسافة، التفت نحوي، وكنت أسير وراءه، وقال لي بنبرة رقيقة:

- لقد وصلنا بسرعة، انظر، ها هي الحديقة.

واستطعت أن أميز أمامنا دغلاً كثيفاً من الأشجار، كان يمثل طريقاً تحفه أشجار الزان الضخمة، سرعان ما خضنا فيهو فالتقينا بالطريق الأول الذي كنا قد انحرفنا عنه، ودعاني الخوذي إلى الصعود إلى العربة مرة أخرى وسرعان ما بلغنا الباب الحديدي، فتسللنا إلى الحديقة.

كان الليل من السواد بحيث لم أستطع أن أميز شيئاً من واجهة القصر، وأوصلتني العربة أمام سلم يتألف من ثلاث درجات فارتقيتها مبهوراً من ضوء المشعل الذي كانت تحمله في يدها وتسلطه نحوي امرأة خالية من معالم الحسن وملامح الجمال، سمينة الجسم متواضعة الزى، وحيثني تحية يشوبها الجفاء، فانحنيت لها، وقلت متردداً:

- مدام "فلوش" طبعاً؟

- بل الأنسة "فيردور". إن السيد "فلوش" وزوجته نائمان، وهما يعتذران عن عدم حضورهما لاستقبالك، فالناس هنا يتناولون عشاءهم في وقت مبكر.

- وأنت يا أنستي، لقد جعلتك تسهرين حتى ساعة متأخرة.

فقلت دون أن تلتفت:

- أوه! أما أنا، فقد اعتدت ذلك.

كانت قد سبقتنى إلى الدهليز فأردفت قائلة:

- أظنك لا تمنع في تناول شيء ما؟

- الحق أقول، إننى لم أتناول عشائى.

فأدخلتنى حجرة طعام فسيحة قد أعدت فيها وجبة عشاء دسمة من تلكم الوجبات التي تعقب الصوم.

- إن الفرن مطفأ في هذه الساعة، وفي الريف يجب أن يقنع الإنسان بما يجده.

فقلت وأنا جالس إلى المائدة أمام صحن من اللحم البارد:
- ولكننى أجد كل هذا عظيماً.

وجلست منحرفة على كرسى بالقرب من الباب، وطوال تناولى
الطعام، ظلت خافضة الطرف، وحاولت عدة مرات، كلما انقطع
حبلى الحديث، أن أعتذر لها عن استبقائها إلى جوارى، ولكنها
جعلتنى أدرك أنها تنتظر حتى أفرغ من عشائى لترفع المائدة.
- وحجرتك، لو انصرفت أنا، كيف ستعرفها بمفردك؟

فتعجلت أمرى، وضاعفت من حجم اللقمة، وإذا بباب الدهليز
ينفتح، ويدخل منه قس أشيب الشعر، صابرم الوجه لكنه لطيف،
فأقبل نحوى وهو يبسط يده قائلاً:

لم أشأ أن أرجىء إلى الغد الاستمتاع بتحية ضيفنا، ولم أنزل إليك
قبل الآن لأننى كنت أعلم أنك تتبادل الحديث مع الأنسة "أوليمب
فيردور".

قالها وهو يوجه إليها ابتسامة خبيثة، بينما كانت هى تزم على
شفتيها وتبدى سحنة من خشب، واستطرد يقول بينما كنت أغادر
المائدة:

- أما الآن وقد انتهيت من طعامك، فستترك الأنسة أوليمب هنا
تعيد النظام إلى المكان، وأعتقد أنها ترى من الأليق أن توكل إلى رجل
أمر اصطحاب السيد "لاكاز" إلى حجرة نومه، وأن تتنازل عن مهام
وظيفتها فى هذا الصدد.

وانحنى أمامها متكلماً الاحترام، فحيته بطريقة مقتضبة:
- أوه! إننى أتنازل لك... يا سيدى القس، كما تعلم أتنازل
دائماً...

ثم استطردت وعادت إلينا فجأة:
- كنت ستسئني أن أسأل سيدى "لاكاز" عما يتناوله فى فطوره.
- ما تشائين يا آنستى.. ماذا تتناولون هنا فى العادة؟
- كل شىء. أعد الشاى للسيدات، والقهوة للسيد "فلوش"
والحساء لسيدى القس، والراكية^(١) للسيد كازيمير.
- وأنت يا آنستى، ألا تتناولين شيئاً؟
- أوه، أما أنا، فإننى أتناول القهوة باللبن وحسب.
- لو سمحت، سأتناول معك قهوة باللبن.
فقال القس وهو يمسكنى من ذراعى:

- إيه! إيه! خذى حذرك يا آنسة "فيردور"، يبدو لى أن السيد
"لاكاز" يغازلك! فهزت كتفيها، ثم حيتنى تحية سريعة، بينما القس
يسحبني معه.

كانت حجرتى تقع فى الطابق الأول فى نهاية الدهليز.
وقال القس وهو يفتح باب حجرة فسيحة تضيئها جمرة كبيرة تتقد
فى مدفأة:

(١) كلمة مأخوذة عن العربية، وهى مشروب يتألف من السحلب والكاكاو ومسحوق
البطاطس والأرز والسكر والفانيليا. (المترجم).

- عفوك اللهم! لقد أوقدوا لك نارا... ربما كنت فى غنى عنها... صحيح أن الليل فى هذه البلدة يكون رطبا، وفصل الشتاء هذا العام مطير بطريقة غير عادية.

كان قد اقترب من المدفأة فبسط لها راحتيه العريضتين محولا وجهه عنها... وكأنه عابد ورع يدفع عن نفسه محاولات الإغراء، وكان استعداده للحديث يبدو لى أكثر من استعداده لتركى لكى أنام.

فبدأ حديثه قائلا وقد رأى صندوقى وحقيبتى:

- آه، لقد أحضر لك "جراسيان" أمتعتك.

فسأله قائلا:

- أهو جراسيان، ذلك الحوذى الذى صحبتنى؟

- وهو أيضا البستانى، لأن أعماله كحوذى قلما تشغل وقته.

- لقد أخبرنى بالفعل أن العربة لا تخرج كثيرا.

- إن خروجها يعتبر حدثا تاريخيا، ثم إن السيد "سانت -

أوريول" لم يعد يملك جيادا منذ زمن بعيد، ولذلك ففى المناسبات الكبرى، مثل الليلة، نستعير جواد المزارع.

فرددت مندهشا:

- السيد سانت - أوريول؟

- أجل، أنا أعرف أنك جئت للقاء السيد "فلوش"، ولكن قصر

الكارفورش ملك لشقيق زوجته، وغدا ستشرف بمعرفة السيد سانت -
أوريول وزوجته.

- ومن يكون السيد "كازيمير" الذي لا أعرف عنه سوى أنه يتناول
الراكية في الصباح؟

- إنه حفيدهما وتلميذى. لقد شاء الله أن أقوم بتعليمه منذ ثلاث
سنوات.

قال ذلك وهو يغمض عينيه فى خشوع، كأن الأمر يتعلق بأمير من
أصل نبيل.

فسألته قائلاً:

- أليس أبواه هنا؟

- بل على سفر.

وضغط على شفثيه بشدة ثم استطرد فى الحال:

- أنا أعرف، ياسيدى، أية دراسات نبيلة مقدسة جاءت بك...

فقاطعته فى الحال:

- أوه! لا تبالغ فى قدسيته، إنها لا تهمنى إلا من وجهة نظر
المؤرخ.

فقال وهو يصرف بيده كل فكرة بغیضة:

- لا يهم، إن للتاريخ أيضاً حقوقه، وستجد فى السيد "فلوش"
الطف مرشد وأوثق دليل.

- هذا ما أكده لى السيد "دينوس" .
- آه أو أنت تلميذ "ألبير دينوس" ؟
- وضغط على شفثيه من جديد . وتجرات ووجهت إليه هذا السؤال :
- هل درست على يديه؟
- فرد فى جفاء :
- كلا!! إن ما أعرفه عنه جعلنى ألزم الحيطه... إنه مغامر
فكرى . وفى مثل سنك، ينجذب المرء فى سهولة لما يشذ عن المألوف .
- ولما لم أجب بشيء، قال :
- لقد كان لنظرياته بعض التأثير على الشبان، ولكن الناس بدءوا
يفيقون منها، على ما بلغنى .
- كانت رغبتى فى الجدال أقل من رغبتى فى النعاس، ولما وجد أنه
لن يحصل منى على إجابة، أردف قائلاً :
- سيكو السيد "فلوش" خير ناصح لك .
- ثم قال على أثر تناؤب لم أملك دفعه :
- الوقت متأخر . غدا لو أردت، يمكننا أن نجد وقتاً كافياً لاستئناف
الحديث، فلا بد أنك مرهق بعد هذا السفر .
- الحق ياسيدى القس، أن النعاس يهدنى .

وما أن غادر الحجرة، حتى رفعت الحطب من المدفأة وفتحت النافذة على سعتها دافعا مصراعيها الخشبيين، فإذا بهبة ريح خفيفة تراقص شمعتي، فأطفأتها لكي أتأمل الليل. كانت حجرتي تفضي إلى الحديقة ولكنها لا تطل على واجهة القصر شأن حجرات الممر التي لا بد أنها تتمتع بمنظر يمتد فيه مدى البصر أطول وأبعد، فسرعان ما أوقف نظرتي مجموعة من الأشجار لا يكاد يظهر فوقها إلا جانب ضئيل من صفحة السماء كان الهلال قد لاح فيها منذ قليل، ثم لم يلبث أن غاب تحت الغمام، وكانت السماء قد أمطرت من جديد، لذلك فقد كانت الأغصان لا تزال تقطر ماء.

وحدثت نفسي وأنا أعيد غلق النوافذ:

- هذا الجو لا يدعو إلى البهجة.

وأمام هذا التأمل الخاطف، سرت الرعدة في نفسي أكثر مما سرت في جسدي، فأعدت الحطب إلى المدفأة وأزكيت النار، وسعدت عندما عثرت في فراشي على جرة ماء دافئ، لاشك أن الأنسة "فيردور" قد دستها فيه بحسن رعايتها.

وبعد لحظة، لاحظت أنني نسيت أن أضع حذائي خارج الحجرة، فنهضت وخرجت برهة إلى الممر، فرأيت في الطرف الآخر من الدار الأنسة فيردور، وكانت حجرتها تقع فوق حجرتي، تبينت ذلك من خطواتها الثقيلة التي شرعت بعد قليل تزلزل السقف من فوق، ثم أطبق صمت عميق، وبينما كنت أستغرق في النوم، رفعت الدار مرساتها لتجتاز رحلة الليل البحرية.

استيقظت من نومي مبكرا على صوت ضوضاء صادرة من المطبخ، وكان أحد أبوابه يفتح تحت نافذتي مباشرة، وعندما دفعت مصراعى النافذة، سعدت بمشاهدة سماء تكاد تكون صافية، أما الحديقة - ولم تكن قد جفت تماما من آثار وابل مطر حديث - فقد كانت تتلألأ وكان الجو يميل إلى الزرقة، وعندما كنت أهم بإغلاق النافذة، إذا بي أرى طفلا ضخما يخرج من بستان الخضراوات ويهرول إلى المطبخ، كان من العسير تحديد سنه، لأن وجهه كان يبدو أكبر من جسمه بثلاث سنوات أو أربع، وكان مشوها، به عوج، وكانت ساقاه الملتويتان تجعل مشيته غريبة، فكان يتقدم بانحراف، أو بالأحرى يسير قفزاً كأنما لو سار خطوة خطوة فلا بد أن تلتوى ساقاه . . . كان هذا طبعاً " كازيمير " تلميذ القس، وكان يلزمه كلب ضخم، يثب معه، ويحتفل به، وكان الصبي يحاول أن يحمي نفسه من مغبة هوسه الكلب المربكة، ولكنه ما أن كاد يبلغ المطبخ حتى قلبه الكلب رأساً على عقب، وإذا به يهوى في الوحل، فهبت إليه سيدة بدينة وقامت بإنهاضه وهي تقول :

- آه، عال ! هل يرضى الله عن هذا الذى تصنعه بنفسك !! ومع ذلك فقد نصحناك مراراً بترك " ترنو " فى محط العربة .. هيا ! تعال من هنا لكى أنظفك .

وسحبته إلى المطبخ، وفى هذه اللحظة سمعت طرقة على باب حجرتى، وإذا بخادمة تحمل إلى ماء ساخن لزوم الاغتسال، وبعد ربع ساعة رن الجرس معلنا عن الفطور، وعندما دخلت حجرة الطعام، قال القس وهو يتقد للقائى :

- مدام " فلوش "، أعتقد أن ضيفنا اللطيف قد وصل .

كانت مدام فلوش قد نهضت من مقعدها، ولكنها - وهى واقفة - لم تكن تبدو أطول منها وهى جالسة، فانحنيت أمامها بشدة، فحيتنى بغطسة خاطفة، فلا بد أنها فى فترة من فترات حياتها تلقت ضربة فظيعة فوق رأسها، فظل رأسها غائراً بين كتفيها بطريقة لا سبيل إلى علاجها، وكان السيد " فلوش " قد وقف إلى جوارها باسماً يده ترحيباً بى . كان العجوزان متماثلين فى الطول والملبس والسن واللحم .. ومكثنا عدة لحظات نتبادل التحيات والمجاملات المتشابهة ونتحدث ثلاثتنا فى وقت واحد، ثم ساد صمت مهيب، ووصلت الأنسة " فيردور " تحمل إبريق الشاي .

وأخيراً قالت مدام " فلوش " التى لم تستطع أن تدير رأسها، فتوجهت إلينا بكل نصفها العلوى :

- إن صديقتنا الأنسة أوليمب كانت تتحرق لتعرف هل هشت في نومك وهل أراحك الفراش .

فأجبت بأننى نمت كأهناً ما يكون النوم، وأن جرة الماء الدافىء التى وجدتها فى الفراش عند رقادى أفادتني أعظم الفائدة.

وخرجت الأنسة "فيردور" بعد أن قدمت لى التحية.

- وفى الصباح، ألم تزعجك ضوضاء المطبخ؟

فكررت النفى : فقالت مدام "فلوش" :

- يجب أن تقدم شكواك، أرجوك، لأنه ما من أمر أسهل علينا من أن نعد لك حجرة أخرى . . .

ودون أن ينبس السيد "فلوش" بكلمة، كان يهز رأسه بانحراف، ويؤيد بابتسامة كل عبارة تتفوه بها زوجته .

فقلت :

- إننى أرى جيداً أن الدار رحبة، ولكننى أؤكد لكم أننى لا يمكن أن أصادف مقاما خيراً من مقامى هنا .

فقال القس :

- إن السيد "فلوش" وزوجته يحبان تدليل ضيفهما .

وجاءت الأنسة " أوليمب " بصحن خبز مقدد، فدفعت أمامها ذلك المخلوق الذى كنت قد رأيتَه ينقلب على عقبيه قبل قليل وجذبه

القس من ذراعه قائلاً :

- هيا يا "كازيمير" ! إنك لم تعد طفلا وليدا، تقدم لتحية السيد "لاكاز" كما يفعل الرجال .. أبسط يدك وانظر أمامك ! ثم التفت القس نحوى، وقال كأنه يتحلل له العذر :

- إننا لم نألف بعد عادات المجتمع ..

كان حياء الطفل يخرجنى، فسألت مدام "فلوش" متجاهلا المعلومات التى أمدنى بها القس مساء أمس :

- أهو حفيدك ؟

فأجابت قائلة :

- إنه حفيد شقيقتى، وسترى فيما بعد شقيقتى وزوجها، أى جديّه.

وحاولت الأنسة "فيردور" أن تفسر موقف الطفل، فقالت :

- لم يكن يجرؤ على العودة لأنه كان قد لوث ثيابه بالوحد وهو يلعب مع "تيرنو" .

فقلت وأنا ألتفت نحو "كازيمير" فى بشاشة وملاطفة .

- ما أطفه من لعب، لقد كنت أنظر من النافذة عندما قلبك الكلب .. ألم يصبك بسوء ؟ فقال القس بدوره موضحا :

- يجب أن نخبر السيد "لاكاز" أن الطفل لا يجيد الاتزان كثيرا ..

سبحان الله، لقد لاحظت ذلك بنفسى دون حاجة إلى توضيح،

وعلى حين بغتة، إذا بهذا القس الضخم، وكانت عيناه من لونين مختلفين، قد أصبح ثقيلًا بغضًا على نفسه.

لم يجبنى الطفل على سؤالى، إلا أن وجهه أحمر خجلاً، فندمت على سؤالى، فربما وجد فيه تلميحا إلى عاهته، وكان القس قد غادر المائدة بعد أن فرغ من تناول حسائه، وجعل يذرع الحجرة ذهابا وإيابا، وكان عندما يمسك عن الكلام، يضغط على شفتيه بحيث تكون شفته العليا تتواء أشبه بشفة الكهل الأردم، ثم توقف خلف "كازيمير"، وبينما كان الأخير يفرغ قدحه، قال القس:

- هيا أهيا أيها الشاب، إن "ابن زهير" فى انتظارنا، فنهض الغلام، وخرج الاثنان.

وما أن انتهى الإفطار، حتى بادرنى السيد "فلوش" وهو يقول:

- تعال معى إلى الحديقة، أيها الضيف الشاب، وزدنى من أخبار باريس المفكرة.

كانت لغة السيد "فلوش" تزدهر مع الفجر، ودون أن ينصت كثيرا إلى إجاباتى، جعل يسألنى عن صديقه "جاستون" وعن دراساتى . . وبالطبع لم أحدثه إلا عن مشروعاتى الأدبية، ولم أكشف له من نفسى إلا عن الجانب الخاص بالسوريون، ثم شرع يقص تاريخ "الكارفورش" الذى لم يرحه تقريبا منذ خمسة عشر عاما، وتاريخ الحديقة، وتاريخ القصر وأرجأ إلى حين تاريخ الأسرة التى كانت تسكن القصر قبله، لكنه بدأ يروى لى كيف حصل على مخطوطات

القرن الثامن عشر التي يمكن أن تهمنى فى بحثى . . كان يسير إلى جوارى فى خطى قصيرة مسرعة وثنايا عديدة، ولاحظت أن سرواله كان منخفضا بحيث إنه كان من الأمام يسقط على مقدمة قدمه، أما من الخلف، فقد كان مرفوعا إلى أعلى الحذاء، ولا أدري كيف استطاع أن يحافظ عليه فى هذا الوضع، ولم أعد أنصت إليه إلا بأذن شاردة، فقد كان تفكيرى خاملا من أثر ميوعة الجو الفاتر وبفعل ما يشبه التخدير النباتى، وبينما كنا نسير على تلك الحال فى طريق تحف به أشجار الكستناء العالية التى كانت تشكل قبوا فوق رؤسنا، شارفنا نهاية الحديقة، وهناك، وجدنا مقعدا يحميه من الشمس دغل من الأشجار الظليلة، فدعانى السيد "فلوش" إلى الجلوس، ثم قال فجأة:

- هل أخبرك القس "سانتال" بأن صهرى به شىء من الـ . . ؟

ولم يكمل، ولكنه لمس جبهته بسبابته.

ولقد بلغ ذهولى حدا لم أجد معه ما أجيب به، فأردف قائلا:

- نعم، البارون "سانت - أوريول"، صهرى، ربما لم يخبرك القس بذلك كما لم يخبرنى أنا أيضا . . ولكننى أصبحت على علم بأنه يعتقد ذلك، كما أعتقده أنا أيضا . . . وبالنسبة لى، ألم يخبرك القس بأن بى شيئا من الـ . . ؟

- أوه ! سيدى فلوش، كيف تظن أن . .

فقال وهو يربت يدى بلا كلفة:

- ولكن، يا صديقي الشاب، لو صح ظني، فإنني أجده شيئاً طبيعياً، ماذا تنتظر؟ لقد اعتدنا هنا أن نعزل عن العالم، نكاد نكون بمنأى عما يجري فيه . لاشيء يحمل إلينا الـ . التغيير، كيف أعبر؟ نعم . لقد كنت لطيفاً إذ جئت لزيارتنا .

ولما حاولت أن أتى بحركة، عاد فقال :

- إنني أعيدها ثانية : كنت لطيفاً إذ جئت، وسأقولها هذا المساء لصديقي العظيم "دينوس" ، وقد يتراءى لك أن تطلعني على ما يجيش بصدرك من موضوعات، وما يضطرب له فكرك من مسائل ، وما يستحوذ على اهتمامك من مشكلات . . إنني على ثقة أنني لن أدرك مما ستقول شيئاً .

بماذا كنت أستطيع أن أجيب ؟ فرحت أخط في الرمال بطرف عصاي، فأردف يقول:

- وكما ترى، فقد فقدنا اتصالنا بالعالم الخارجي تقريباً كلا، . كلا، لا تعترض، فلن يجدي ذلك شيئاً . إن البارون أصم أشبه بالقرعة، ولكنه مدعٍ بحيث إنه يحاول أن يداري صممه، وهو يفضل أن يتظاهر بالسمع عن أن يطلب إلى محدثه أن يرفع صوته . أما بالنسبة لي، فإنني فيما يتعلق بالأفكار التي تشغل العالم اليوم، يبدو لي أنني لا أقل عنه صمماً، ومع كل فإنني لا أجد غضاضة في ذلك، بل إنني لا أحاول أن أبذل كبير مجهود لكي أفهم . لقد انتهى بي الأمر، من جراء عشرتي "لماسيون" و"بوسويه" إلى الاعتقاد بأن المشكلات التي كانت تؤرق هاتين العقليتين تعادل في جمالها وأهميتها

تلك المشكلات التي كنت شغوفًا بها في مطلع شبابه . . مشكلات ربما لم تكن تفهمها هاتان العقليتان . . كما أنني لا أفهم تلك المشكلات التي تستهويك اليوم؛ لذلك، لو تكلمت يا زميل المستقبل، فإنني أفضل أن تحدثني عن دراستك، مادامت هي أيضا دراستي، ولا تؤاخذني إذا لم أسألك عن حب من الموسيقين والشعراء والخطباء، ولا عن نظام الحكم الذي تفضله .

ونظر إلى ساعة مستديرة تتعلق بشريط أسود وقال وهو ينهض واقفاً :

- فلنعد الآن، إنني أعتبر نهاري ضائعًا إن لم أباشر عملي في العاشرة. فمددت له ذراعي فتناولها ! ولما كنت أتمهل في سيرى أحيانا من أجله كان يقول لي :

- فلنسرع ! فلنسرع ! ما أشبه الأفكار بالأزهار، ما نقطفه منها في الصباح يحتفظ بنضارته أطول وقت ممكن .

كانت مكتبة "الكارفورش" تتألف من حجرتين يفصل بينهما ستار بسيط، وكانت إحداهما شديدة الضيق يصعد المرء إليها بواسطة ثلاث درجات، وكان السيد فلوش يعمل فيها وهو جالس إلى مكتب أمام نافذة لا تطل على شيء، بسبب وجود دردارة تمد أغصانها حتى تلامس زجاج النافذة، وكان يوجد على المكتب مصباح عتيق له خزان، يعلوه غطاء أخضر من الخزف، وتحت المكتب حشية لتدفئة القدمين، وفي أحد الأركان موقد صغير، وفي الركن الآخر مكتب آخر محمل بالمعاجم، وبينهما خزانة تستخدم رفا لحمل الأوراق، أما الحجرة

الثانية، فقد كانت فسيحة، بها كتب تغطي الجدار وتصل حتى السقف، وكان بها نافذتان، ومكتب كبير في وسطها.

فقال لى السيد فلوش :

- هنا سيكون مقامك .

ولما صحت معارضا، قال :

- كلا، كلا، إننى اعتدت على الخلوة، والحق أقول إننى أجد فيها راحتى، فيبدو لى أن تفكيرى يتركز فيها. عليك بشغل المكتب الكبير بلا غضاضة، وإذا شئت أسدلنا الستار حتى لا يضايق أحدنا صاحبه.

فقلت معارضا :

- أوه! ليس من أجلى أنا، فإننى إذا كنت حتى الآن أشعر بضرورة الانفراد أثناء العمل، فإننى لا . . .

فعقب مقاطعا :

- إيه حسنا ! إذن ستركه مرفوعا، فمن ناحيتى سأجد متعة كبرى فى أن المحك بطرف عينى . وفعلا، وفى الأيام التالية، ما كنت أرفع رأسى عن عملى إلا وألتقى بنظرة الرجل الطيب ويبتسم لى وهو يهز رأسه، خشية أن يضايقنى، أو يحول عينيه عنى ويتظاهر بالانغماس فى القراءة.

وسرعان ما اهتم فوضع تحت تصرفى كما ما أحতاجه من كتب ومخطوطات، وكان معظمها موجودا فى رف الحجرة الصغيرة،

وكانت تفوق في عددها وأهميتها ما ذكره لى الأستاذ "دينوس" ، وكان لا بد لى على الأقل من أسبوع كامل لكى أنقل البيانات القيمة التى أعثر عليها بين ثناياها، وأخيرا فتح السيد "فلوش" خزانة غاية فى الصغر كانت بجوار الرف وأخرج منها نسخة الكتاب المقدس الشهيرة التى كان يملكها "بوسويه" والتى كان نسر مدينة "مو" قد خط عليها- أمام الآيات التى أصبحت متونا- تواريخ إلقاء العظات التى أوحى له بها تلك الآيات، ودهشت لأن "ألبير دينوس" لم يستفد من هذه البيانات فى أبحاثه، ولكنى علمت من السيد "فلوش" أنه لم يحصل على هذا الكتاب إلا منذ أمد قصير.

واستطرد قائلا :

- لقد كتبت بالفعل مذكرة بشأنها، وإننى أهنىء نفسى الآن لأننى لم أخبر أحدا بها، فستفيدك فى رسالتك بما فيها من جدة وطرافة .

فاعترضت مرة أخرى قائلا :

- إن كل ما لرسالتى من قيمة وفضل، إنما أدين به لفضلك أنت، فهل تتكرم ياسيدى فلوش فتقبل منى أن أهديها لشخصك دليلا بسيطا على عرفانى بالجميل ؟

فابتسم ابتسامة يشوبها الحزن :

- عندما يكون الإنسان موشكا على فراق الدنيا، فإنه يبتسم راضيا لكل ما يحقق له بعض الخلود . ووجدت أنه ليس من الذوق فى شىء أن أتمادى فى هذا الشأن وإذا به يستطرد قائلا :

- والآن، عليك بالاستيلاء على المكتبة، ولا تكثر لوجودى إلا عندما تريد أن تستفسر منى عن شىء . خذ ما يلزمك من أوراق .
وإلى اللقاء!

وبينما كنت ألتفت إليه مبتسما وأنا أهبط الدرجات الثلاث، لوح بيده قائلا : إلى اللقاء ! ونقلت إلى الحجرة الكبرى الأوراق التى تمثل باكورة عملى، وبدون أن أبتعد عن المكتب الذى كنت أجلس إليه، تمكنت من رؤية السيد "فلوش" فى حجرتة الصغرى، وتحرك لحظات يفتح بعض الأدراج ثم يغلقها من جديد، ويخرج الأوراق ثم يعيدها إلى مكانها متظاهرا بالانشغال . . وتبين لى حقا أنه كان فى غاية الاضطراب أو على الأقل محرجا بسبب وجودى، وأن أقل خلل فى تلك الحياة المنظمة غاية التنظيم يمكن أن يخل باتزان التفكير، وأخيرا استقر إلى مكتبه، وغاص حتى منتصف ساقيه فى الحشية، ولم يعد يبدى حراكا . . .

أما بالنسبة لى فقد كنت أظاهر بالانهماك فى العمل، إلا أننى وجدت مشقة كبرى فى السيطرة على تفكيرى، بل لم أحاول ذلك، فقد كان تفكيرى يحوم حول "الكارفورش"، وكأنه يحوم حول برج قصر محاولا اكتشاف مدخله، وكل ما كنت أحاول أن أقنع به نفسى هو أننى فطن ذكى، وكنت أحدث نفسى قائلا: "صديقى، أيها الروائى، سنراك وأنت أمام التجربة. الوصف آه، أف ! ليس الوصف هو المهم الآن، وإنما المهم هو الكشف عن الباطن تحت الظاهر.

لو غفلت عن أية حركة، أو أية لفظة، دون أن تجد لها التفسير النفسى والتاريخى الكامل، فأنت لا تفقه مهنتك.

وصعدت ببصرى نحو السيد "فلوش"، وكان يعرض لى من جانب، فرأيت أنفا ضخما لا يعبر عن شىء، وحاجبين كثيفين، وذقنا حليقا لا يكف عن الحركة كأن صاحبه يمزغ تبغا... وفكرت أنه ما من شىء يضيفى الغموض على وجه الإنسان مثل قناع الطيبة الذى يغلفه.

وإذا بجرس الغداء يفاجئنى وأنا غارق فى هذه الخواطر.

وعلى هذا الغداء، قدمنى السيد " فلوش " دون سابق إنذار، إلى السيد " سانت أوريول " وزوجته، وكان فى إمكان القس أن يخطرئى بذلك مساء أمس، وأتذكر أننى فيما مضى شعرت بنفس الدهشة عندما رأيت لأول مرة فى حديقة النباتات طائر النمام أو طائر الغواص، ولا أدرى أيهما كان أغرب من الآخر، البارون أم البارونة، فقد كانا زوجين متماثلين أشبه بالسيد " فلوش " وزوجته، ولو قدر لهما أن يوضعا فى أحد المتاحف، لوضعا متجاورين بلا تردد خلف واجهة زجاجية بالقرب من " الأنواع المنقرضة "، ولقد شعرت نحوهما فى بادئ الأمر بذلك الإعجاب الغامض الذى نشعر به أمام التحف الفنية الرائعة أو أمام عجائب الطبيعة والذى يتركنا أول وهلة ذاهلين عاجزين عن تحليله، كذلك لم أتمكن من تحليل انطباعى إلا بعد نظر وتأمل . . .

كان البارون « نارسيس سانت أوريول » يرتدى بنطلونا قصيرا، ويتعل حذاء بارز الإبريم، ورباط عنق من الموسيلين، وكانت له جوزة

عنى تماثل ذقنه فى بروزها، وتخرج من فتحة الياقة محاولة الاستخفاء
ما استطاعت تحت ثنايا وشاح متفخ من الموسيلين، وكان ذقنه لأقل
حركة من فكه يبذل مجهودا خارقا ليتصل بأنفه الذى يحاول من ناحية
أن يحقق ذلك، وكانت إحدى عينيه مسدودة فى إحكام، أما عينه
الأخرى، فكان طرف الشفة يتهافت إليها وتتجه نحوها كل ثنايا
الوجه، فقد كانت تومض فى صفاء، قابعة خلف الوجنة كأنما تقول :
حذار ! أنا وحيدة، ولكن ما من شىء يفلت منى .

أما زوجته، مدام دسانت أوريول، فقد كانت تختفى تماما فى فيض
من نسيج الدنتيلا الزائفة، وكانت يداها الطويلتان المثقلتان بالخواتم
الضخمة، ترتجفان وهما قابعتان فى جوف كميها، أما وجهها فقد كان
متدثرا فى شبه كساء طويل من الحرير الأسود المبطن بشرائط من
الدانتيل الأبيض، وتحت الذقن عٌقدت عصابتان من الحرير أبيضتا من
أثر المسحوق المتساقط من وجهها الذى أسرفت فى ذره بطريقة بشعة،
وعندما دخلت، نهضت واستقرت أمامى بجانبها، وطرحت رأسها
إلى الوراء ، ثم زعقت بصوت مرتفع خال من التنغيم :

- أتى زمن، ياشقيقتى، كان الناس فيه أكثر احتراما وتقديرا لاسم
سانت - أوريول ..

ترى على من كانت ساخطة ؟ لابد أنها تريد أن تشعرنى أمام
أختها أننى لا أنزل عند آل فلوش، لأنها استطردت وهى تميل رأسها
جانبا فى تلاطف ظاهر وترفع يماها نحوى قائلة :

- إنه ليسر البارون، ياسيدى، كما يسرنى، أن نستقبلك على مائدتنا .

فطبت قبلة على خاتم بيدها، وانتصبت بعد القبلة وأنا أشعر بالخجل لأن وضعى بين " آل فلوش " و " آل سانت أوريول " بدا لى محرجا، إلا أن مدام فلوش لم يبد أنها أعارت قول أختها أى اهتمام، أما البارون فقد كنت أرتاب فى حقيقة أمره على الرغم من أنه كان معى لطيفا وظريفا، وطوال إقامتى فى الكارفورش لم يستطع أحد أن يقنعه بأن ينادينى بغير السيد " لاكار " ، الأمر الذى كان يسمح له أن يؤكد أنه طالما رأى أهلى فى التويلورى . . وبخاصة عمّا لى كان يلعب معه لعبة الورق .

- آه ! لقد كان طريفا ! كان كلما ألقى بورقة رابحة، صاح بأعلى عفيرته " دومينو " !

كانت أحاديث البارون كلها من هذا المستوى تقريبا، وعلى المائدة كان هو الوحيد الذى يتحدث تقريبا، وبعد ذلك، وما أن ترفع المائدة حتى يتحصن فى صمت أشبه بصمت المومياء . . .

وعندما كنا نهاجر حجرة الطعام، اقتربت منى " مدام فلوش " وهمست قائلة :

- هل يتلطف السيد " لاكار " فيسمح لى بحديث قصير معه ؟

وبدا لى أنها لم تكن تريد أن يطلع أحد على هذا الحديث، لأنها راحت تجذبنى إلى جهة بستان الخضروات وهى تقول بصوت مرتفع إنها تريد أن ترينى صفا من الأشجار المعروشة على الجدار .

وما أن وثقت أن أحدا لا يستطيع أن يسمعها، بدأت حديثها
قائلة :

- إن حديثي معك بخصوص حفيدنا .. إننى لا أريد أن أبدو فى
نظرك متقدمة لتعليم القس " سانتال " .. ولكنك وأنت تغوص فى
مصادر الثقافة نفسها (كانت هذه عبارتها) يمكنك أن تقدم لنا النصح
فى هذا الشأن .

- تكلمى ياسيدتى ، وثقى فى إخلاصى .

- إذن، فاسمع : إننى أخشى أن يكون موضوع رسالته، بالنسبة
لغلام حدث مثله، فيه شىء من التخصص .

فاستفسرت فى شىء من الحرج :

- أية رسالة ؟

- الرسالة التى يتقدم بها لشهادة البكالوريا .

فعدت أقول وقد صممت على ألا أندesh لشىء :

- آه ! بالضبط . وما موضوعها ؟

- هاك : إن الأب يخشى أن يكون من شأن الموضوعات الأدبية
أو الفلسفية المحضة أن تزيد من حدة هيام عقلية فتى ميال بطبعه إلى
الأحلام .. (هذا جانب من مخاوف القس) ولذلك فقد حدا
به " كازيمير " إلى اختيار موضوع تاريخى .

- ولكن هذا الرأى يا سيدتى يقوم على أساس متين، والموضوع الذى وقع عليه الاختيار، ما هو ؟

- أرجو المعذرة، فإننى أخشى أن أحرف الاسم .. " ابن رشد "

- إن القس طبعا لديه من الأسباب ما جعله يختار هذا الموضوع الذى يبدو لأول وهلة موضوعا متخصصا بعض الشيء .

لقد اختاراه معا . أما عن الأسباب التى يسوقها الأب مبررا لاختياره، فإننى على استعداد لقبولها، فقد ذكر لى أن هذا الموضوع يتضمن جاذبية قصصية من شأنها أن تثير اهتمام " كاريمير " الذى يشرده كثيرا ، ثم (يبدو أن السادة המתحنين يعلقون على هذا أكبر الأهمية) إن الموضوع لم يسبق أن طرق قبل ذلك .

- فعلا، إننى لا أذكر ..

- ومن الطبيعى أن المرء، لكى يطرق موضوعا لم يسبق لغيره أن عاجله يجد نفسه مضطرا إلى الخوض فى طرق غير ممهدة .

- طبعا !

- إلا أننى أعترف لك بأن هناك ما يدعو لقلقى .. ولكننى قد أكون مغالية ؟

- سيدتى، أتوسل إليك أن تثقى فى أن صدق إخلاصى ورغبتى فى خدمتك لا حدود لهما .

- حسن ! أنا لا أشك في أن " كازيمير " لديه من الكفاءة ما يؤهله في القريب العاجل من التفوق في امتحان رسالته، ولكنى أخشى أن تكون رغبة القس في التخصص - وهى رغبة سابقة لأوانها - تجعله يهمل إلى حد ما الثقافة العامة، كالحساب مثلا والفلك ..

فسألت وأنا فى ذهول :

- وما رأى السيد فلوش فى كل هذا ؟

- أوه ! إن السيد فلوش يؤيد كل ما يعمل القس أو يقول .

- والوالدان ؟

- لقد عهدا إلينا بالغلام .

قالتها بعد تردد لطيف ثم أضافت وقد توقفت عن السير :

- أرجو منك ياسيد " لاكاز " ، أن تتكرم بالتحدث إلى " كازيمير " لكى تطلع على أمره دون أن يبدو عليك أنك تقصد إلى ذلك .. وليكن ذلك فى غير وجود القس بالذات، فقد يرتاب فى الأمر، وأنا على ثقة أن بوسعك أن .. .

- بكل سرور ياسيدتى، ولن أعدم الوسيلة لاختلاق سبب للخروج مع حفيدكم . سيقوم مثلا باصطحابى فى زيارة لركن ما من أركان الحديقة ..

- إنه فى بادئ الأمر يبدو نجولا مع من لا يعرفهم بعد، إلا أن الثقة من طبعه .

- إننى لا أشك فى أننا لن نلبث أن نصبح صديقين حميمين .
وبعد قليل جمعتنا وجبة العصر مرة أخرى، فقالت تخاطب
" كازيمير " :

- كازيمير، عليك باصطحاب السيد " لاكاز " ليرى المحجر، فأنا
واثقة من أنه سيثير اهتمامه .

ثم قالت وهى تقترب منى :

- انصرفا بسرعة قبل أن ينزل القس، فقد يرغب فى مرافقتكما .
وعلى الفور خرجت إلى الحديقة، يقودنى الغلام وهو يعرج،
فبدأت قائلاً :

- هذا وقت الفسحة .

فلم يجب، فاستطردت قائلاً :

- ألا تعمل شيئاً بعد أن تتناول طعام العصر ؟

- أوه ! بلى، ولكن اليوم لم يعد عندى ما أنسخه .

- ما الذى تنسخه إذن ؟

- الرسالة .

- آه !

وبعد محاولات من التقصى فهمت أن هذه الرسالة إنما هى عمل
خاص بالقس وهو يستخدم الغلام فى تبييضها ونسخها لوضوح خطه
وسلامته، وكان الغلام يقوم بكتابة أربع صور من الرسالة فى أربع

كراسات مغلقة يملأ منها في كل يوم بضع صفحات، إلا أن "كازيمير"
أكد لي أنه يجد متعة كبرى في قيامه بعملية "النسخ" .

- ولكن لماذا تكتب أربع نسخ؟

- لأنني أجد مشقة في الاستظهار .

- وهل تفهم ما تكتبه؟

- أحيانا، وأحيانا أخرى يشرح القس لي، أو يقول لي إنني سوف
أفهم عندما أكبر .

كان القس بكل بساطة قد جعل من تلميذه ما يشبه سكرتيرا
ناسخا، فهل كان هذا هو تصوره لواجبه؟ وشعرت بقلبي يفيض
حسرة، فقررت بلا تردد أن أدخل معه في نقاش مرير، وكان سخطي
قد جعلني أسرع الخطي على غير وعي مني، فكان "كازيمير" يجد
مشقة في متابعتي، ولاحظت أنه غارق في عرقه، فمددت له يدي
فاستبقاها في يده، وراح يعرج إلى جانبي بينما أبطأت أنا
من مشيتي .

- هل الرسالة رسالتك؟

فأجاب على الفور :

- أوه ! كلا .

ولكنني عندما تماديت في أسئلتى أدركت قلة معلوماته، ولا شك
أنه لاحظ اندهاشي، فقد أضاف قائلا :

- إننى أقرأ كثيرا .

قالها كمسكين يقول : إننى أملك ثيابا أخرى !

- وماذا تحب أن تقرأ ؟

- كتب الرحلات .

وحول نحوى نظرة كانت الثقة قد سكنت فيها محل الحيرة،

وقال :

- لقد سافر القس إلى الصين، هل تعرف ذلك ؟

وكانت لهجته تكشف عن إعجاب بأستاذه، واحترام زائد .

وكنا قد بلغنا المكان الذى أسمته مدام فلوش بـ " المحجر " ،

فوجدته مكانا مهجورا منذ أمد طويل، أشبه بمغارة تحف بها أحراش

تجبها عن الأنظار، فجلسنا فوق حجر فاتر بتأثير حرارة الشمس التى

كانت قد شرعت فى المغيب، وكانت الحديقة تنتهى عند هذا المكان

دون أن يحدها سياج أو جدار،

وكنا قد مررنا عن يسارنا بطريق تنحدر فى انحراف يقطعها حاجز

صغير، وكان انحدار الطريق من الشدة بحيث كان يعتبر حماية طبيعية

للحديقة .

وسألت كازيمير :

- وأنت يا كازيمير، هل سبق أن قمت برحلات ؟

فلم يجب، وطأطأ رأسه .. وكان الوادى عند أقدامنا غارقا فى الظلام، وكانت الشمس تحف بالتل الذى كان يحول دون استرسال الطبيعة أمامنا، وكانت هناك أكمة من أشجار الكستناء والبلوط تعلو تلاً جبيراً صغيراً انتشرت فيه أوكار الأرناب، كان المنظر بما فيه من رومانسية يتميز عن سائر المنطقة التى كانت تتسم بالرتابة .

وإذا بكازيمير يصيح قائلاً :

- انظر إلى الأرناب ...

وبعد برهة، أضاف وهو يشير بأصبعه إلى الأكمة :

- ذات يوم، صعدت هنا بصحبة سيدى القس .

وعند عودتنا مررنا ببركة تغطيها النباتات المائية، فوعدت كازيمير بأن أعد له سنارة وأدربه على صيد الضفادع .

ولم تختلف هذه السهرة الأولى التى لم تمتد بعد التاسعة كثيراً، عما تلاها من سهرات، بل ولا حتى فى ظنى عما سبقها، ذلك لأن أصحاب الدار كانوا يراعون مبدأ عدم الإسراف، فما أن انتهى العشاء حتى عدنا إلى حجرة الجلوس حيث كان " جراسيان " فى أثناء العشاء قد أشعل النار فى موقدها، وكان هناك مصباح كبير موضوعاً على طرف منضدة من الخشب المطعم، يضيء القطاع الذى يتناقل فيه كل من البارون والقس النرد عند طرف المنضدة، وكذلك كان هذا المصباح يضيء المائدة الصغيرة المستديرة التى كانت النساء يلعبن عليها لعبة الورق، وبدأت مدام " سانت أوربول " الحديث فقالت :

- إن السيد " لاكاز ؛ الذى اعتاد لهو باريس ومسراتها، لا شك
سيجد فى لهونا شيئاً من الخمول . .

وفى تلك الأثناء، كان السيد " فلوش " ، يجلس فى مقعد موسد
فى ركن من أركان المدفأة، بين النوم واليقظة، أما كازيمير، فقد كان
يسند مرفقيه إلى المنضدة، واضعاً رأسه بين يديه، وقد تدلت شفته
السفلى وسال منها اللعاب، وعلى هذه الحال، كان يقرأ فى كتاب
" جولة حول العالم " ، ومراعاة للياقة والذوق، تظاهرت بالاهتمام
الشديد بلعبة النساء، وكان من الممكن أن يتم اللعب بالاستغناء عن
أحد اللاعبين الأربعة كما يحدث فى لعبة " الوست " إلا أنه من
الأفضل أن تؤدى بأربعة لاعبين، ولذلك فما أن اقترحت الاشتراك فى
اللعب، حتى سارعت مدام دسانت - أوريول بقبولى زميلاً لها، وفى
الأمسيات الأولى تمكن الفريق المنافس من هزيمتنا فسعدت مدام
" فلوش " ، وكانت بعد كل نصر تفوز به تربت ذراعى بيدها النحيله
المكسوة بقفاز بلا أصابع، وكان يسود اللعب الكثير من حركات التهور
والجرأة وأعمال المكر والدهاء والتفنن والمهارة، وكانت الأنسة
" أوليمب " متريثة فى لعبها متروية، وفى بداية كل دور كنا نحدد
النقط اللازمة لإحراز النصر، وبعد ذلك كان كل لاعب يقامر ويزايد
حسبما يكون تحت يده من أوراق، وكان من شأن ذلك أن يتيح فرصة
للتغريب والإيهام، وكانت مدام سانت أوريول تغامر فى تهور وجرأة
وقد لمعت عيناها، واحمرت وجنتاها، وجعل ذقنها يرتعد، وعندما
كانت تجد بين يديها أوراقاً رابحة، كانت تركلنى بشدة بقدمها من تحت

المنضدة، وكانت الأنسة أوليمب تحاول أن تصمد أمامها، ولكنها لا تلبث أن ترتبك عندما تسمع صوت العجوز الحاد يصيح على حين فجأة :

- فيردور، أنت تكذبين !

وعند انتهاء الدور الأول كانت مدام فلوش تخرج ساعتها، وكان الوقت قد حان، ثم تنادى قائلة :

- كازيمير ! هيا، لقد حان الوقت .

فيحاول الطفل في مشقة أن يتخلص من نعاسه، وينهض، ويبسط للرجال يدا مسترخية للتحية، ويعرض للنساء جبينه ليتلقى قبلاتهن، ثم يخرج وهو يتعثر في مشيته .

وعندما كانت مدام سانت أوريول تدعونا لجولة الثأر، يكون أول دور في النرد على وشك الانتهاء، وكان السيد فلوش في بعض الأحيان يأخذ مكان صهره، ولم يكن السيد فلوش ولا القس يعلنان عن ألعابهما، ولا يسمع لهما سوى صوت دحرجة النرد داخل القرطاس أو فوق المنضدة، أما السيد " سانت - أوريول " فكان في مقعده الموسد يناجى نفسه، أو يترنم بصوت خفيض، وفي بعض الأحيان كان يفاجيء الحاضرين بضرب النار بالملقاط في غير حذر، فتتناثر الشظايا هنا وهناك، فتهب الأنسة " فيردور " وتؤدي فوق البساط ما كانت مدام سانت أوريول تسميه في ظرف برقصة الشظايا .

وفى أغلب الأحيان، كان السيد " سانت أوريول " يترك البارون والقس فى تنافسهما ولا يغادر مقعده الموسد، وكنت فى مكانى أستطيع أن أراه، ليس نائما كما كان يدعى، وإنما هازا رأسه فى الظلام، وفى أول أمسية حدث أن توهج اللهب فأضاء وجهه، فتبينت أنه كان يبكى ! .

وعندما كان ينتهى اللعب فى التاسعة والرابع، كانت مدام " فلوش " تطفىء المصباح، بينما تقوم الأنسة " فيردور " بإشغال شمعتين تثبتهما على طرفى طاولة اللعب .

وكانت مدام سانت أوريول وهى تضرب زوجها على كتفه بالمروحة توصى القس قائلة :

- أيها القس، لا تجعله يسرف فى السهر .

واعتقدت من أول ليلة أن من دواعى اللياقة أن ألبى دعوة النساء تاركا اللاعبين لتنافسهما والسيد فلوش لتأملاته، وكان آخر من يصعد منا، وفى الدهليز حمل كل منا شمعدانا، وقامت النساء بتحيتى كما يفعلن فى الصباح، وكنت أدخل حجرتى فلا ألبث أن أسمع السيدين وهما يصعدان، ثم سرعان ما يحل الصمت، إلا أن النور يظل يتسرب من تحت بعض الأبواب، وإذا ما اضطرت لسبب ما إلى الخروج فى الممر، فمن الجائز أن أصادف مدام فلوش أو الأنسة فيردور فى غلالة النوم يفرغان من عمل ما، بل وبعد ذلك أيضا، وعندما يظن المرء أن كل ضوء قد أطفىء، كان يرى طاقة من الزجاج تستمد نورها من ضوء الدهليز ولا تفضى إليه، ويدخلها مدام سانت أوريول فى صورة خيال الظل وهى ترتق بعض الثياب .

كان يومى الثانى فى " الكارفورش " شبيها باليوم الأول بشكل ملموس ، ساعة بساعة ، إلا أن افصول الذى كان يدفعنى إلى الاطلاع على حياة أهل البيت كان قد زال تماما ، وكان ثمة رذاذ دقيق يملأ الجو منذ الصباح ، فلما استحالت النزهة ، وكان حديث هؤلاء النساء يخلو مع مرور الوقت من الهدف والمعنى ، فقد شغلت سائر ساعات النهار تقريبا فى العمل ، ولم أكد أتبادل مع القس بعض العبارات ، وكان ذلك بعد الغداء حيث دعانى إلى تدخين سيجارة على بعد خطوات من حجرة الجلوس ، فى مكان يشبه مستودعا كان يطلق عليه أهل الدار تعظيما: التعريشة ، وكانوا يضعون فيه مقاعد الحديقة وكراسيها طوال فصل الشتاء الرديء .

وعندما طرقت موضوع تعليم الطفل فى شىء من الحدة قال لى :

- ولكنى يا سيدى ، أستهدف شيئا خيرا من تفتيح مدارك "كازيمير" بكل ما أملك من علوم متواضعة ، وإننى لم أعدل عن هدفى هذا إلا مرغما . هل كنت تؤيدنى ، وهو يعرج هكذا ، لو تراءى لى أن أعلمه الرقص على الحبل؟ سرعان ما وجدت أن من واجبى أن

أحد من آمالي، وإذا كان يشغل نفسه معي بابتن رشد، فذلك لأنني أقوم ببحث في فلسفة أرسطو، ففضلت أن أشركه معي في هذا العمل بدلا من أتبحر معه في كتاب من كتب النحو، وسواء كان هذا أو ذلك، فالمهم هو إشغال "كازيمير" ثلاث ساعات أو أربع كل يوم، هل كان بوسعي أن أتجنب الشعور بالسخط لو أنه أضاع وقتي هذه الساعات، ودون أن يستفيد هو من ذلك.. كفي نقاشا في هذا الموضوع، على أما أظن.

وبعد ذلك ألقى سيجارته، وكان قد تركها حتى انطفأت ونهض ليعود إلى حجرة الجلوس.

ولقد منعتني رداءة الجو من الخروج مع "كازيمير"، فاضطررنا إلى أن نرجىء لليوم التالي ما كنا قد أزمعناه من صيد، ولكنني أمام خيبة أمل الغلام، حاولت أن أقدم وسيلة أخرى للتسلية، وكنت قد عثرت على رقعة للشطرنج، فشرعت أعمله لعبة الدجاج والثعلب، فظل شغوفا بها حتى العشاء.

وبدأت السهرة مشابهة تماما لسابقتها، غير أنني لم أعد أنصت أو أنظر إلى شيء، فقد بدأ يجثم صدري ضيق غامض لا أدري كنهه.

وما أن فرغنا من العشاء، حتى هبت ربح عاصفة، فأوقفت الأنسة "فيردور" اللعب مرتين، وصعدت إلى الحجرات العليا لترى إذا كان المطر قد تسرب إليها، واضطررنا إلى أن نلعب دور الثأر بدونها، إلا أن اللعب كان يخلو من الإثارة، وكان السيد "فلوش" جالسا في مقعد موسد منخفض بالقرب من المدفأة يهدده صوت المطر المنهمك، فينام نوما عميقا، وكان البارون أمامه جالسا في مقعده يشكو ويتوجع من آلام الروماتزم.

ولما لم يجد القس منافسا يلاعبه جعل يردد دعوته للبارون .

- قد يروح عنك دور من النرد .

ولما لم يصل معه إلى نتيجة، انصرف مصطحبا "كازيمير" ليرقده في فراشه، وعندما وجدتني في ذلك المساء وحيدا في غرفتي، تملكني قلق لا يرحم استولى على روحى وجسدى، وإذا بضيقى يستحيل خوفا. كان ثمة جدار من الأفكار يفصل بينى وبين بقية العالم، فإذا إنا فريسة كابوس مزعج، بعيدا عن كل عاطفة، بعيدا عن الحياة، بين مخلوقات غريبة لا تكاد تكون من البشر، جمدت قلوبها وبهتت وجوهها، وكفت قلوبها عن الخفقان منذ أمد بعيد، ففتحت حقيبة السفر، وأخرجت دليل القطارات. أريد قطارا! مهما كان الوقت نهارا أو ليلا.. ليحملنى بعيدا! إننى هنا أختنق..

وعندما استيقظت في اليوم التالي، لم أكن أقل تصميمًا، إلا أنني وجدت أنه مما يتنافى مع الذوق وآداب اللياقة أن أهجر المضيفين دون أن أنتحل لهم عذرا أعلل به سبب قطع إقامتى، أو لم أتهور وأذكر لهم أنني سأتأخر إسبوعا على الأقل على الكارفورش؟ لقد جدتها! سأقول لهم بأن أبناء سيثة تستدعيني إلى باريس.. ولحسن الحظ، كنت قد تركت عنوانى في باريس قبل المجيء فكان من المفروض أن يرسل بريدى كله إلى الكارفورش، وقلت في نفسى إنها حقا لمعجزة أن لم يصل حتى اليوم أي خطاب أستطيع أن أستغله في مهارة وحذق وعلقت أملى بوصول ساعى البريد، وكان يأتى بعد الظهر بقليل،

عندما كنا نفرغ من غدائنا، فكنا لا نغادر المائدة قبل أن تأتي "ديلفين" حاملة إلى مدام "فلوش" رزمة خفيفة من الخطابات والمطبوعات فتتولى هذه توزيعها على الحاضرين، ولسواء الحظ، حدث في ذلك اليوم، أن كان القس "سانتال" مدعوا لتناول الغداء عند عمدة بلدة "بون ليفيك"، وفي حوالي الساعة الحادية عشرة، جاء ليستأذن من مدام "فلوش" ومنى، ولم أدرك عندئذ أنه بذلك يسلبني الجواد والعربة.

وعلى الغداء، قمت بأداء الدور الذي أعدت له، فقدمت وأنا أفض أحد المظاريف التي قدمتها لي مدام فلوش:

- سبحان الله! يا لها من مضايقة!

ولما لم يلتفت أحد من أهل الدار إلى صيحتي خشية إحراجي، عاودت الكرة رافعا صوتي ومتصنعا الدهشة والضيق بينما عيناى تجولان بين سطور رسالة لا أهمية لها:

- وأسفاه!

وأخيرا تجرأت مدام فلوش وسألتني بلهجة يشوبها الحياء:

- ما هذا النبا السيء، ياسيدى العزيز؟

فأجبت على الفور:

- أوه! لا شيء، ولكننى للأسف أرى أنه يتحتم على أن أعود إلى باريس حالا، وهذا ما يكدرنى.

وعمت الدهشة سائر الجالسين إلى المائدة، فجاوزت ما كنت أتوقع

حتى احمر وجهى خجلا، وتجلت هذه الدهشة أول الأمر فى وجوم
شامل قطعه السيد "فلوش" فى صوت تشوبه الرجفة:

- أصبح يا صديقى العزيز؟ ولكن عمك! ولكن..

ولم يستطع أن يكمل، ولم أجد ما أجيب به، ولا ما أقوله، بل
لمقد انتابنى شعور ظفيف بالتأثر وكانت عيناى مسلطين على قمة رأس
كازيمير، فرأيته وقد دس أنفه فى الطبق، وجعل يقطع تفاحة إربا إربا،
أما الأنسة "فيردور" فكان وجهها قد احمر قانيا من الغيظ.

وإذا بمدام "فلوش" تقول فى صوت ضعيف:

- أعتقد أنه مما ينافى الذوق يا سيدى أن نطلب منك البقاء!

فقالت مدام سانت أوريول فى حدة:

- لما يقدمه الكارفوش من ألوان اللهو والمتعة!

فحاولت الاعتراض قائلا:

- أو! سيدتى، ثقى تماما أنه ما من شىء..

غير أن البارونه، دون أن تنصت لقولى، زعقت بأعلى عقيرتها فى
أذن زوجها وكان يجلس إلى جوارها:

- إن السيد "لاكاز" يريد أن يرحل عنا.

فقال الأصم وهو يتسم لى:

- عظيم! عظيم! ما أشد سرورى لذلك.

وعندئذ توجهت مدام فلوش بالحديث إلى الأنسة " فيردور " قائلة:

- كيف ستتصرف؟ إن الجواد مع القس.

فتراجعت قليلا وقلت:

- المهم أن أكون في باريس صباح غد.. وإذا لزم الأمر، فإن قطار الليل قد يكفى.

فقلت مدام فلوش:

- فلتنذهب يا "جراسيان" على الفور لترى إذا كان من الممكن أن نستخدم جواد آل "بوليني"، أخبرهم أن عليك أن تنقل شخصا يريد أن يستقل قطار الساعة..

وقالت وهي تلتفت نحوي..:

- هل يكفى قطار الساعة السابعة؟

- أوه! سيدتى، إننى آسف إذ أسبب لكم كل هذه المضايقات..

وانتهى الغداء فى سكون، وما زن فرغنا منه، حتى صحبنى السيد فلوش وخرجنا، وعندما أصبحنا وحدثنا فى الممر الذى يفضى إلى المكتبة، قال لى:

- سيدى العزيز.. صديقى العزيز.. إننى لا أستطيع أن أصدق بعد.. ولكنك لا تزال فى حاجة إلى معرفة الكثير. أمن الممكن أن يحدث هذا؟ يالها من مضايقة! يالها من مضايقة فظيعة! كنت أنتظر أن تنتهى من المرحلة الأولى من البحث، لاضع تحت يدك أوراقا

أخرى أضررتها مساء أمس. أعترف لك أنني كنت أعتد على هذه الأوراق لأثير اهتمامك من جديد وأستبقيك مدة أطول، فلا بد إذن من إطلاعك عليها فوراً. تعال معي، فلا يزال لديك فسحة من الوقت حتى المساء لأنني لا أجرؤ أن أسألك العودة مرة أخرى، ألس كذلك؟ وأمام ضيق الكهل وكدره، أحسست بالخجل من تصرفي، وكنت قد أضيت نفسي في العمل طوال نهار أمس وصباح اليوم، بحيث لم يتوفر لي من الوقت إلا ما يتيح لي أن ألقى نظرة عابرة على الأوراق الأزولي التي كان السيد "فلوش" قد استودعني إياها، ولكننا ما أن صعدنا إلى خلوته حتى بادر بفتح أحد الأدراج وأخرج من جوفه، في حركة غامضة، لفافة يغلفها نسيج من قماش يشبه خيط رفيع، وتحت الخيط دست بطاقة على هيئة قائمة بالأوراق التي بالداخل ومصادرهما، فقال لي فلوش:

- خذ اللفافة كلها، وليس كل ما تحويه طبعاً من الأوراق المهمة، ولكنك تستطيع أسرع مني أن تستخرج من بينها ما يهمك.

وبينما كان يفتح بعض الأدراج الأخرى، ويغلقها ويتظاهر بالانشغال، نزلت إلى المكتبة حاملاً الأوراق التي فضضتها فوق المنضدة الكبيرة.

وكانت بعض الأوراق فعلاً تتصل ببحشي، ولكنها كانت قليلة العدد ضئيلة الشأن، وكان أغلبها مكتوباً بخط السيد "فلوش" نفسه ومتصلاً بحياة "ماسيون" ولذلك فلم تكن تعينني في كثير.

أصحيح أن "فلوش" المسكين كان يعتمد على هذه الأوراق ليستبقيني؟ فنظرت إليه، كان في ذلك الوقت قد غار في مقعده وأمسك دبوسا يفتح به في دقة وصبر ثقوب وعاء صغير لصب السندروسى، وما أن فرغ من هذه العملية، حتى رفع نظره فالتقى بنظري، وإذا بابتسامة ودية تنير وجهه فنهضت لكى أحادثه، واتكأت على ذراعى مقعده فى مواجهة جسمه الضئيل وقلت أخاطبه:

- سيدى "فلوش"، لماذا لا تأتى إلى باريس؟ إنه ليسرنا أن نلتقاك هناك.

- فى مثل سنى، يكون الانتقال عسيرا وباهظ التكاليف.

- أولا تأسف على حياة المدينة؟

فقال وهو يرفع يديه:

- آه! كنت أتوقع أن يكون أسفى عليها أكبر. إن الوحدة فى الريف، تبدأ قاسية لمن يحب الحديث، ولكنه سرعان ما يعتادها.

إذن، فأنت لم تأت للإقامة فى الكارفورش عن ميل أو رغبة؟

فخرج من مقعده ونهض واقفا، ثم وضع يده فوق كفى فى ألفة وقال:

- كان لى فى المعهد بعض الزملاء الذين أعزهم، ومنهم أستاذك

"ألبير دينوس"، وأعتقد أننى كنت على وشك أن أشغل مكانا

بينهم...

ولاح عليه أن يريد أن يفيض فى الحديث، ومع كل فقد كنت لا
أجرؤ على سؤاله مباشرة، فقلت:

- أهى مدام "فلوش" التى كان يستهويها الريف إلى هذا الحد؟

- كلا. ومع ذلك فقد جئت الريف من أجلها، أما هى فقد
استدعاهما إليه طارئ عائلى بسيط.

كان قد هبط إلى القاعة الكبيرة، فلمح اللقافة التى كنت قد أعدت
ربطها، فقال لى فى أسى:

- آه! لقد اطلعت على كل شىء، وربما وحدث بينها شيئاً ينفهك.
وماذا كنت تريد؟ إننى ألتقط أقل الفتات.

وفى بعض الأحيان أقول فى نفسى إننى أضيع وقتى فى جمع التافه
من الأشياء ولكن لابد من وجود رجال مثلى ليوفروا على من كان
مثلك القيام بهذه الأعمال الضئيلة التى يستفيدون منها فائدة عظيمة،
وعندما سأقرأ رسالتك، سأشعر بالسرور عندما أجد تعبى قد حقق
لك ولو ذرة من الفائدة.

وإذا بالجرس يدعونا لوجبة العصر.

كنت أحدث نفسى: ما السبيل إلى معرفة ذلك "الطارىء العائلى
البسيط" الذى كان وحده كافياً لإقناع هذين العجوزين؟ هل يعرفه
القس؟ إننى بدلا من أن أناصيه العدا، كان يجب أن أستألفه. لا
يهم! لقد فات الآوان، ولا يمنع هذا أن السيد فلوش رجل كريم

النفس وسأظل أحتفظ له بأعطر ذكرى، ووصلنا حجرة الطعام،
فقلت مدام فلوش:

- إن كازيمير لا يجرؤ على سؤالك أن تخرج معه فى جولة قصيرة
فى الحديثة، إننى أعرف أنه شديد الرغبة فى ذلك، ولكن الوقت قد
لا يسعك؟

كان الغلام يدس وجهه فى إناء من اللبن، فرغ هامته وهو بادى
الابتهاج، فقلت:

- كنت على وشك أن أقترح عليه أن يصحبنى، فقد انتهيت من
عملى وسأظل بلا مشاغل حتى يحين وقت الرحيل، ولحسن الحظ فقد
كف المطر عن الهطول..

وصحبت الغلام إلى الحديقة.

كان الغلام يمسك بإحدى يدى بين يديه، وعند أول منعطف رفع
يدى إلى وجهه الملتهب وجعل يضغط عليها طويلا وقال:

- لقد أخبرتنى بأنك ستمكث ثمانية أيام..

- يا صغيرى الحبيب، لا أستطيع أن أمكث أطول من ذلك.

- لقد مللت عشرتنا.

- كلا. ولكن لا بد لى من الرحيل.

- إلى أين؟

- إلى باريس، وسوف أعود.

وما كدت أنطق بهذه العبارة حتى تطلع إلىّ فى قلق ولهفة:

- صحيح ؟ أتعد بذلك؟

وكان استفسار الغلام يتضمن كثيرا من الثقة ، فلم تواتنى الشجاعة للتراجع؟ فقلت:

- هل تحب أن أكتب لك هذا على ورقة صغيرة تحتفظ بها؟

- أوه، أجل.

قالها وهو يقبل يدي بشدة ويقفز معبرا عن فرحته فى هوس وجنون.

- هل تعرف ما يجعل بنا أن نفعله الآن؟ بدلا من أن نذهب لصيد السمك، أحرى بنا أن نقوم بقطف بعض الأزهار لنقدمها لعمتك، ونذهب إليها حاملين باقة ضخمة لنفاجئها فى حجرتها.

كنت قد عزمت على ألا أغادر الكارفورش قبل أن أزور حجرة إحدى العجوزين، ولما كانت تتجولان بلا انقطاع بين أرجاء الدار كان من الجائز جدا زن تفاجئنى إحداهما فى زيارتى المتطفلة، فكنت أعتمد على الغلام فى إيجاد سبب لحضورى، فإذا كان دخولى فى أثر الغلام إلى الحجرة جدته أو خالته لا يبدو أمرا طبيعيا، فإنه بفضل باقة الأزهار قد أستطيع، فى حالة المفاجأة، أن أبرر موقفى.

غير أن قطب الأزهار فى "الكارفورش" لم يكن عملية بسيطة كما كنت أظن، فقد كان "جراسيان" يلاحظ الحديقة فى تشدد وصرامة،

ولم يكن بالإرشاد إلى الأزهار التي يمكن قطفها، بل إنه كان يتدخل أيضا في تحديد الطريقة التي يتم بها قطف الأزهار، فلا بد من مراعاة الدقة والحذر! ولا بد من الحسنة كل الحسنة! ذلك ما بينه لي "كازيمير". واقتادنا "جراسيان" إلى حوض من أزهار الداليا الرائعة، كان من الممكن أن نقطف منها عديدا من الباقات دون أن نترك آثارا ظاهرة.

- من أعلى الغصن ياسيد كازيمير، كم مرة ينبغي أن أكرر ذلك؟

أقطف دائما من أعلى الغصن.

فصحت وقد نقد صبرى:

- نحن في نهاية الموسم، فلا ضرورة لذلك الآن.

فأجاب مهتًا بزن "ضرورة ذلك ماثلة في كل وقت" وأنه "ما من موسم يحيد فيه العمل السيء". إنني أمقت المتحذلقين الذين لا يتحدثون إلا بالحكمة والمثل...

وفي حجرة الخالة كان السكون يسود أشبه بسكون المتعبد... وكانت مصاريع النوافذ مغلقة، وكان يوجد بالقرب من الفراش مصلى من خشب الموجنا المبطن بالمخمل الأحمر عائر في كوة، يعلوه صليب من العاج والأبنوس يغطي نصفه غصن رفيع من البقس متعلق بشريط وردي ومثبت تحت إحدى إبطى الصليب. كان كل شيء يوحى بالتعبد، فنسيت ما جئت من أجله، ونسيت الفضول الأجوف الذى جذبني إلى ذلك المكان، فتركت "كازيمير" يرتب الأزهار كما يحلو له

فوق منضدة صغيرة، وأصبحت لا أنظر إلى شيء فى الحجره، وكنت أحدث نفسى قائلاً: هنا فوق هذا الفراش، سرعان ما ستتطفئ شمعته مدام "فلوش" العجور، بعيداً عن أعصاب الحياة... أيها الشراع الذى يهفو إلى العاصفة! ما أهدأ هذا المرفأ!

كان "كازيمير" فى هذه الأثناء قد مل ترتيب الأزهار، فقد كانت أغصان الداليا الثقيلة قد غلبته على أمره وإذا بالباقه كلها تهوى على الأرض. وأخيراً قال لى:

- هلا تساعدنى!

وبينما كنت آخذ مكانه، أسرع إلى الطرف الآخر من الحجره نحو خزانة فتحها وهو يقول:

- ساعد لك الورقة التى تتعهد فيها بالعودة إلينا.

فعقبت مبادراً:

- هو ذاك، هو ذاك، أسرع، فقد تغضب خالتك لو رأتك تنقب فى خزانتها.

- أوه إن خالتى مشغولة فى المطبخ، ثم إنها لا تزجرنى مطلقاً.

وراح يكتب على إحدى أوراق الخطابات بكل دقة وعناية.

- والآن تعال ووقع.

فاقتربت وقلت ضاحكاً:

- ولكنك يا "كازيمير" ما كان يجب أن توقع باسمك أنت.

ما من شك فى أن الغلام، رغبة منه فى إضفاء الأهمية على هذا التعهد، ظن أن من المستحسن أن يوقع باسمه أسفل الورقة التى قرأت فيها ما يلى: "يتعهد السيد "لاكاز" بالعودة إلى الكارفورش فى العام القادم".

كازيمير سانت أوريول

ومكث برهة مرتبكا من ملاحظتى وضحكى. كان الغلام قد فعل ذلك مدفوعا بكل قلبه، فهل كنت أهزأ به إذن؟

كان على وشك البكاء.

- دعنى أجلس مكان لأوقع.

فنهض، وعندما وقعت على الوقرة، قفز فرحا، وانهاه على يدي لثما وتثيلاً، وهممت بالانصراف، بجذبنى من كفى، وقال وهو مائل على الخزانة.

سأريك شيئاً.

قالها وهو يعالج زنبكا فى الخزانة ويسحب درجا كان يعرف طريقة فتحه، وجعل ينقب بين شرائط وإيصالات، ثم قدم إلى صورة صغيرة داخل إطار وقال:

- انظرا!

فاقتربت من النافذة.

ما هذه الحكاية التى وقع فيها البطل فى غرام الأميرة بمجرد أن رأى صورتها، لا ريب أن هذه هى صورتها.

إننى لا أفهم فى التصوير، ولا أهتم كثيرا بهذا الفن، إلا أنه من المؤكد أن خبيراً فى التصوير يستطيع أن يتبين الصنعة فى هذه الصورة؛ فإن الشخصية لا تكاد تظهر للعيان من فرط ما فى الصورة من جمال وروعة، على أن هذا الجمال الظاهر كان من النوع الذى لا يمكن للناس أن ينسأه، ولا أهمية عندي، كما قلت لك، لمحاسن التصوير أو عيوبه. إن المرأة الشابة التى كانت أمامى لم أكن أرى منها سوى جانب من وجهها، وكانت وجتها تختفى تقريبا خلف خصلة ثقيلة سوداء، الزفرات، وجيدها دقيقاً أشبه بغصن الورد. كانت هذه المرأة ذات حسن فتان وجمال ملائكى، فلم أعد وأنا أتأملها أعى شيئاً عن المكان أو الزمان، وكان كازيمير قد ابتعد عنى ليكمل ترتيب الأزهار، فعاد ومال نحوى قائلاً:

- هذه أمى. إنها جميلة، أليس كذلك؟

وشعرت أمام الغلام بالخرج لأننى وجدت أمه على هذا القدر من الجمال.

- أين هى الآن، أمك.

- لست أدرى.

- ولماذا لا تعيش هنا؟

- إنها تمل الإقامة هنا.

- وأبوك؟

فاضطرب قليلا، وقال وهو يطاطب رأسه كأنما يشعر بالخجل:

- أبي مات.

كانت أسئلتى تضايقه، ولكننى كنت قد صممت على التمادى

فيها:

- هل تأتى أمك لزيارتك فى بعض الأحيان؟

فأجاب مؤكدا وهو يرفع هامته فجأة:

- أوه! أجل، كثيرا ما تأتى!

ثم أضاف وقد خفت صوته قليلاً:

- إنها تأتى وتتحدث مع خالتى.

- ولكنها تتحدث معك أنت أيضا.

- أوه! معى أنا. إننى لا أعرف كيف أتحدث إليها..

ثم إنها تحضر وأنا نائم.

- نائم!

- نعم. إنها تحضر ليلا..

ثم استسلم لثقته واطمئنانه (كان قد أمسك يدي عندما وضعت الصورة) وأضاف فى حنان كأنما أفاض إلى بسر:

- فى آخر مرة، جاءت وقبلتنى فى فراشى.

- أو لا تقبلك في العادة؟
- بلى. إنها تقبلني كثيرا.
- إذن، فلماذا تقول "في آخر مرة".
- لأنها كانت تبكى.
- هل جاءت مع خالتك؟
- كلا، بل دخلت بمفردها في ظلمة الليل، وكانت تظني نائما.
- وهل أيقظتك؟
- أوه، إنني لم أكن نائما، بل كنت في انتظارها.
- كنت تعلم إذن بوجودها.
- فطأ رأسه مرة أخرى، دون أن يجيب. فسأته في إلحاح:
- كيف علمت بوجودها؟ وفي ظلمة الليل كيف عرفت أنها تبكى؟
- أوه، لقد شعرت بذلك.
- أولم تسألها البقاء معك؟
- أوه! بلى. وكانت مائلة على الفراش، فكنت أمسكها من شعرها...
- وماذا كانت تقول؟

كانت تضحك، وكانت تقول إننى سأنكش شعرها، وأنه لا بد لها من الانصراف.

- ألا تحبك إذن؟

- أوه! بلى، إنها تحبني كثيرا.

صاح بها فجأة مبتعدا عنى وقد التهب وجهه، فى نبرة تنم عن الوله والحب، حتى خجلت من سؤالى.

وإذا بصوت مدام فلوش يدوى عند سطح السلم مناديا:

- كازيمير، كازيمير! اذهب إلى السيد "لاكاز" وأخبره بأن الوقت قد حان ليستعد للسفر، فإن العربة ستكون هنا بعد نصف ساعة.

فاندفعت ونزلت السلم مسرعا، ولحقت بالعجوز فى الدهليز، وسألتها:

- مدام فلوش! أمن الممكن أن أكلف أحمد بحمل برقية؟

لقد وجدت طريقة تتيح لى، على ما أعتقد، أن أبقى بينكم بضعة أيام أخرى.

فتناولت كلتا يدي بين يديها:

- آه، صحيح يا سيدى العزيز؟

ولما كانت فى غمار تأثيرها وانفعالها لا تجد ما تقوله، جعلت تكرر قائلة: صحيح! ثم أسرعته إلى نافذة فلوش وصاحت قائلة:

- صديقي! صديقي (هكذا كانت تناديه) السيد لاكاز يتفضل
بالبقاء.

كان صوتها الضعيف يرن أشبه بجرس متصدع، ولكنه بلغ هدفه،
فقد رأيت النافذة تفتح، والسيد "فلوش" يطل منها لحظة، ثم ما أن
علم بالخبر حتى قال:

- أنا نازل! أنا نازل!

ولحق به "كازيمير"، وظللت بضع لحظات أتقبل التهانى من كل
على حدة، وكان الناظر يظننى من أفراد العائلة.

وكتبت برقية وهمية وأرسلتها إلى عنوان خيالى.

وقالت مدام فلوش:

- أخشى أن أكون أثناء الغداء قد أثقلت عليك فى الإلحاح،
وأتعشم أن بقاءك هنا لا يضير كثيرا أعمالك فى باريس.

- أتعشم ذلك، يا سيدتى العزيزة. لقد رجوت أحد الأصدقاء أن
يعتنى بمصالحى.

كانت مدام سانت أوريول قد أقبلت، وكانت تهوى بمروحتها وهى
تدور فى الحجرة زاعقة بصوتها الحاد:

"يا له من لطيف! آه! ظرف فائق... يا له من لطيف!" ثم
غابت، فعم السكون.

وقبيل العشاء، عاد القس من بون-ليفيك، ولما لم يكن يدرى
شيئا عن موضوع سفرى، فلم يفاجأ ببقائى، وقال فى بشاشة:

- سيدى لاكاز، لقد أحضرت من بون -ليفيك بعض الصحف وأنا أهتم كثيرا بمهاترات الصحف، لكننى تصورت أنك قد تكون هنا محروما من الأخبار وأن هذه الصحف قد تهملك.

وكان ينقب فى ردائه:

- آه، لقد حملها "جراسيان" مع الحقيبة إلى حجرتى. انتظر لحظة، فسأحضرها لك.

- لا تفعل ذلك يا سيدى القس، سأصعد أنا لإحضارها.

وصحبته حتى حجرته، فرجاني أن أدخل، وبينما كان ينظف رداءه بفرشاة ويتهيا للعشاء، سألته بعد تبادل بعض عبارات المجاملة:

- هل كنت تعرف أسرة سانت أوريول قبل أن تحضر أنت إلى الكارفوش؟

- لا

- ولا السيد فلوش؟

- لقد انتقلت من التبشير إلى التعليم فجأة، وكان رئيسى على صلة باليد فلوش، فعيننى للقيام بالمهام التى أباشرها الآن، كلا، فقبل أن أحضر إلى هنا، لم أكن أعرف تلميذى ولا والديه.

- أى أنك تجهل الطارئ الذى دفع السيد فلوش فجأة إلى مغادرة باريس منذ خمسة عشر عاما تقريبا، عندما كان على وشك أن يعين بالمعهد.

فهمهم قائلاً:

- هذه تصاريف القدر.

- كيف؟! معنى هذا أن السيد فلوش وزوجته يعيشان هنا على نفقة آل سانت أوريول! فقال وقد ضاق صدره:

- كلا، كلا، إن آل سانت أوريول هم الذين فقدوا كل ثروتهم أو معظمها، ومع ذلك فإنهم يملكون قصر الكارفوش، أما آل فلوش، وهم في سعة من العيش، فإنهم يعيشون معهم ليساعدوهم، فهم يتكفون بنفقات المنزل، وبذلك يتيحون لآل سانت أوريول الاحتفاظ بالكارفوش، ومن المفروض أن يؤول هذا القصر فيما بعد إلى كارمير، وأعتقد أن هذا هو كل ما يأمله الغلام...

- وزوجة الابن؟ إن أم كارمير ليست زوجة ابن سانت أوريول، بل هي ابنته.

- ولكن اسم الغلام؟ فتظاهر بعدم الفهم - ألا يدعى كارمير سانت أوريول؟

فأجاب ساخراً:

- آخ! كل ما هناك أن الأنسة سانت أوريول قد تزوجت من ابن عم لها يحمل نفس اللقب.

- عظيم!

قلتها وقد أدركت بغيتي إلى حد ما، ولو أنني ترددت في قفل باب المناقشة، وكان قد فرغ من تنظيف رداثه، وكان يضع قدمه على حافة

النافذة، وطوق حذاءه بمنديل فى ضربات شديدة ليزيل ما علق به من تراب.

فسأله قائلاً:

- وهل تعرفها... الأتسة سانت أوريول؟

رأيتها مرتين أو ثلاث مرات، إلا أنها لا تمر بالقصر إلا مر الكرام.

- وأين تعيش؟

فاعتدل واقفاً، وألقى بالمنديل المعفر فى ركن من أركان الحجرة، وقال:

- أهو استجواب إذن؟

ثم أضاف وهو يتوجه نحو الحوض:

- لن يلبث جرس العشاء أن يرن، ولن أكون مستعداً:

كان معنى هذا أن أنصرف عنه، وكانت شفتاه المضمومتان تحبسان الكثير من الكلام، ولكنهما لن يسمحا بأن يفلت منهما شىء فى هذه اللحظة.

مضت أربعة أيام بعد ذلك وأنا لم أزل فى الكارفورش ، وقد خفت حدة قلقى عما كانت عليه فى اليوم الثالث ، إلا أننى كنت أكثر مللا ، فلم أتوصل إلى جديد ، لا فى الأحداث اليومية ولا فى أحاديث أهل الدار ، فإذا بى أشعر أن فضولى إلى زوال من قلة الزاد ، فرأيت أنه يجب أن أعرض عن فكرة اكتشاف المزيد ، وتأهقت للسفر من جديد ، فالأب يتظاهر باليكم منذ أن ظهر له مدى اهتمامى بما يعلم ، أما " كازيمير " فكلما كانت تزداد ثقته بى ، كنت أزداد أمامه حرجا ، فلم أعد أستطيع سؤاله ، ثم إننى أصبحت أعلم كل ما يمكن أن يخبرنى به ، وهو ليس أكثر مما أخبرنى به يوم أن أطلعتنى على الصورة .

ومع كل فإن الغلام كان قد أنبأنى باسم أمه فى براءة وطهر ، وربما كان من الجنون أن أبدى تأثرى على هذا النحو بالصورة الجذابة التى كان يرجع تاريخها إلى أكثر من خمسة عشر عاما ، بل إنه حتى لو حدث ، أثناء إقامتى فى الكارفورش ، أن ظهرت إيزابيل دسانت - أوريول كما اعتادت أن تظهر ، لما استطعت ، ولما جرؤت على اعتراض سبيلها ، ومهما كان الأمر ، فقد كان فكرى الذى شغل بها

فجأة قد كف عن الشعور بالملل والرتابة، فإذا بهذه الأيام الرهيبة الأخيرة تولى مسرعة وأفاجأ بانقضاء الأسبوع، ولم يكن هناك ما يبرر بقائى عند آل فلوش، خاصة وأن عملى لم يعد يقدم لى أسبابا لتأخير الرحيل، ولكننى فى ذلك الصباح، كنت أتجول فى الحديقة وكان الخريف قد زاد من سعتها ورنين أصداؤها، فإذا بى أجدنى أهتف فى صوت خفيض، ثم يزداد الصوت ارتفاعا إيزابيل! . . . وإذا بهذا الاسم الذى صدمنى فى بادئ الأمر، يكتسى بالرقه والملاحة ويستشرى فيه سحر خفى . . . ورأيتنى أردد قائلا : إيزابيل سانت - أوريول : كنت أتخيل ثوبها الأبيض عند كل منعطف لممر يمرق ويختفى عن ناظرى، وخلال أوراق الشجر التى لاتفتأ تتغير وتتلون، كان كل شعاع يذكرنى بنظرتها... وابتسامتها الحزينة، ولما كنت لا أزال جاهلا بالغمام وأفاعيله، فقد تصورت نفسى عاشقا، وطاب لى أن أكون كذلك فهمت فى سماوات الحب طائعا راضيا .

كم كانت الحديقة جميلة ! وخاصة وهى تتهيا فى جلال لحزن المنصرف المنصرم . كنت متشيا وأنا أنشج أريح الطحلب والأوراق الداوية، وكانت أشجار الكستناء الفرعاء الصهباء، وقد تجردت من أوراقها تقريبا، تميل بأغصانها على الأرض حتى تمسها، وكانت بعض أغصان العوسج الأرجوانية تتلأأ من خلال المطر المنهمر ، وبدأ الكلا المجاور لها أخضر يانعا، وكانت هناك بعض أزهار الكولشيك متناثرة فوق عشب الحديقة، وتحت ذلك بقليل، فى الوادى الصغير، كان ثمة مرعى وردى اللون كأن الناظر يلمحه من الحجر، وفيه كنت أجلس عندما كان المطر يكف عن الانهمار، فوق الحجر نفسه الذى كنت قد

جلست عليه مع " كازيمير " أول يوم، ومن يدري فلعل الأنسة
دسانت - أوريول جلست عليه فيما مضى ... فتوهمتني أجلس إلى
جوارها .

كان كاريمير يرافقتني في أغلب الأحيان، ولكنني كنت أفضل أن
أسير بمفردي، وكان المطر في كل يوم تقريبا يباغتني وأنا في الحديقة،
فكنت أعود مبلا إلى المطبخ لأجفف ملابسى بالقرب من الموقد، ولم
تكن الطباخة تحبني، وكذلك جراسيان، ولم أتمكن بتلطفى وتظرفى
معهما أن أنتزع منهما ثلاث كلمات، حتى الكلب، لم أستطع أن
أجعل منه صديقا، رغم مداعبتى له وتملقى إياه، وكان " ترنو "
يقضى أغلب النهار راقدا في الموقد الواسع، وكنت لا أكاد أقرب منه
حتى يهب مزمجرا، أما كازيمير الذى كنت أراه في أغلب الأوقات
جالسا على حافة المدفأة يقشر الخضراوات، أو منهمكا في القراءة فقد
كان ضرب الكلب ضربا خفيفا زاجرا إياه، لأنه يسيئ استقبالى،
وكنت أتناول الكتاب من بين يدي الصبى وأواصل القراءة بصوت
مرتفع، فيستند على ركبتي وأشعر به وقد انصرف إلى بسمعه وقلبه .

ولكن المطر المنهمر في ذلك الصباح باغتني شديدا بحيث لم أتمكن
من التفكير في العودة إلى القصر، فأسرعت ولذت بأقرب مأوى وهو
المبنى المهجور الذى رأيتماه في نهاية الحديقة قرب الباب الحديدى،
وكان عندئذ متهدما فيما عدا قاعة واسعة كانت لا تزال أنيقة كأنها
قاعة استقبال أو مكان لنزهة، إلا أن أخشاب جدرانها المنخورة كانت
تتشقق وتتصدع لأقل صدمة .

وعندما دخلت دافعا بابها الذي لم يحكم إغلاقه حامت بعد الخفافيش واندفعت خارجة من النافذة التي تعرت من زجاجها، وكنت أظن أن المطر لن يطول، ولكنني وأنا آخذ نفسي بالصبر، وجدت أن السماء قد اكفهرت وأربدت تماما، وإذا بي مطوق في حصار طويل الأجل، كانت الساعة تشير إلى العاشرة والنصف، وكان أهل الدار لايتناولون الغداء إلا في الثانية عشرة، ووجدت أنني سأنتظر حتى يدق الجرس الأول الذي ما من شك في أن صوته يبلغ هذا المكان، وكان معي ما يلزم للكتابة، ولما كان بريدي متأخرا، فقد حاولت أن أثبت لنفسي أن إشغال الفكر ساعة من الزمن لا يقل يسرا عن إشغاله يوما بأسره، إلا أن خيالي كان لا يفتأ يردني إلى ... أه ! لو كنت أعلم أنها ستظهر ذات يوم في هذا المكان، لحرقت هذه الجدران بزفرات قلبي الولهان، وسرعان ما تملكني ضيق ممض تثقله العبرات، ومكثت منهارا في ركن من أركان الحجرة، فلم يكن بها مقعدا أجلس عليه، وإذا بي أنفجر في البكاء كطفل ضل السبيل .

من المؤكد أن لفظ الضيق أضعف من أن يعبر عن الأشجان المضنية التي كنت أقع فريسية لها في كل حين، إن هذه الأشجان تستولى علينا فجأة، ونحن في قمة سعادتنا، فقبل لحظة، يضحك لك كل شئ وتضحك أنت لكل شئ، وفجأة إذا بغمامة سوداء داكنة تتصاعد من أعماق النفس وتقف حائلا بين المتعة والحياة، وإذا بها تكون ستارا أغبر يفصلنا عن بقية العالم، وإذا بحرارة هذا العالم وحببه وألمه وانسجامه لا تصلنا إلا في صورة انعكاس مجرد، فنرى ولا نتأثر وربما أودى بنا ما نبذله من جهد يائس لاختراق هذا الستار الفاصل، إلى ارتكاب

أية جريمة، وقد يصل بنا الأمر إلى القتل أو الانتحار، وربما إلى الجنون ...

هذا ما كان يدور بخلدى وأنا أرهف سمعى للمطر المنهمر، وكنت أحتفظ فى يدي بمديّة ففتحتها لأبرى القلم، ولكن الورقة التي فتحت عليها مفكرتى ظلت بيضاء، وإذا بى أحفر بسن المديّة على سطح الجدار المجاور لى محاولا نقش اسمها، لم أكن أفعل ذلك عن اقتناع ولكن لأننى كنت أعلم أن العشاق المولّهين يفعلون ذلك، وعلى أثر كل دفعة، كان الخشب البالى يتهاوى ويسقط، وكأن كل حرف أنقشه يترك وراءه ثقباً، وبلا قصد منى، ولمجرد شغل الوقت شرعت فى تجريح الخشب كيفما اتفق مدفوعاً بغريزة الهدم البلهاء، وكان الغطاء الخشبيّ الذى كنت أحطمه يقع تحت النفاذة مباشرة، وكان إطاره منفصلاً فى أعلاه بحيث كان من السهل أن يسحب الغطاء كله من أسفل إلى أعلى بين الفرضات الجانبية، وهذا ما لحظته عندما فوجئت بمديتى ترفع هذا الغطاء الخشبيّ، فى غمار النقش والتجريح .

ولم تمض لحظات حتى كنت قد أجهزت على تفتيت الغطاء الخشبيّ، وإذا بمظروف يسقط على الأرض مع فتات الخشب، وكان هذا المظروف متسخاً عطناً قد اكتسب لون الجدار بحيث لم أندش له فى بادئ الأمر . كلا . لم أتعجب من رؤيته، فلم أجد من الغريب أن أجدّه فى هذا المكان، ومن ثم كان عدم تأثرى، فلم أسع إلى فضه فى الحال، وكان دميماً، مغبراً، قدرا يظنه الناظر جزءاً من الأنقاض، وإذا كنت تناولته، فإنما كان ذلك ليشغل فراغى، وإذا كنت فضضته فإنما كان ذلك بطريقة آلية، فأخرجت منه ورقتين مكتوبتين بخط كبير

غير منظم باهت اللون، يكاد أن يكون ممحوا في بعض أجزائه، ماذا يفعل هنا هذا الخطاب ؟ ونظرت إلى التوقيع فذهلت ؛ لقد كان اسم إيزابيل مكتوبا في نهاية الورقتين !

كانت تشغل فكرى تلك اللحظة ... فتوهمت برهة أنها تكتب الرسالة لى : " حبيبى، هذه آخر رسالة منى لك ... إننى أكتب هذه الكلمات على عجل، لأننى أعرف أننى لن أستطيع هذا المساء أن أقول شيئا لك، فشفقتاى وهما إلى جوارك لن تجدا سوى القبل، فاسمعنى بسرعة وأنا لا أزال قادرة على الكلام، أنصت لى :

لقاؤنا في الحادية عشرة متقدم جدا، فالأفضل أن يكون في الثانية عشرة إنك تعلم أننى أذوب لهفة إلى لقائك، وأن الانتظار يضرني، ولكننى حتى أسعى للقائك، لا بد أن ينام كل من فى الدار . أجل الثانية عشرة وليس قبل ذلك . تعال للقائى عند باب المطبخ (سر بحذاء جدران بستان الخضراوات الذى يقع فى منطقة مظلمة، وكذلك فهناك أشجار العوسج) انتظرني هناك، وليس أمام الباب الحديدى، ولا أقول ذلك لأننى أخشى أن أجتاز الحديقة بمفردى، وإنما لأن الحقيبة التى أحمل فيها بعض ملابسى ستكون بالغة الثقل بحيث لن أقوى على حملها طويلا .

وإننى أرى من الأفضل أن تظل العربية فى طرف الشارع الضيق حتى تتمكن من رؤيتها فى سهولة، وكذلك بسبب كلاب المزرعة التى من الجائز أن تنبح وتوقظ النيام، فهذا أقرب للحرص .

كلا يا صديقى، فكما تعلم، لم تكن هناك من وسيلة إلى لقائنا مرة أخرى والاتفاق على هذا كله شفاهاً، إنك تعلم أننى أعيش هنا أسيرة وأن العجوزين أصبحا لا يسمحان لى بالخروج ولا لك بالدخول. آه! أى زنزانة هذه التى أفر منها ... سأهتم بأن آخذ معى زروجا من الأحذية كغيار أنتعله بمجرد أن نركب العربة، لأن العشب فى طرف الحديقة مبلل بالماء .

كيف تسألنى بعد ذلك إذا كنت عازمة ومستعدة ؟ ألا فاعلم يا حبيبى أننى منذ شهور أتهدأ، ومنذ شهور وأنا مستعدة، وها هى ذى أعوام مضت وأنا أنتظر هذه اللحظة ! وتسألنى : ألن أندم على ذلك .. نك إذن لم تفهم أننى أصبحت أمقت كل من تربطهم بى علاقة ، وكل ما يقيدنى إلى هذه الدار . أهذه حقاً " إيزا " الرقيقة المتهيبة التى تتحدث إليك ؟ صديقى وحبيبى، ماذا صنعت بى، يا غرامى ؟ ..

إننى هنا أحتق، وأفكر فى العوالم الأخرى التى تفتح لى أبوابها .. إننى ظمأى ...

أوشكت أن أنسى أن أخبرك أننى لم أنجح فى انتزاع فصوص الياقوت من علبتها لأن خالتى لم تعد تترك مفاتيحها فى حجرتها، ولم ينجح فى ذلك أى مفتاح آخر قمت بتجربته .. لا تؤنبنى، فلدى سوار أمى، والسلسلة المطعمة وخاتمان، وقد يكونان بلا قيمة كبيرة، ولكننى أعتقد أن السلسلة فى غاية الجمال، أما عن المال .. فسأبذل كل جهدى، ولكنك أيضاً تحسن صنعاً لو حصلت على مبلغ منه لك خالص دعواتى .

(الثانى والعشرون من أكتوبر الموافق عيد ميلادى الثانى والعشرين
وليلة خلاصى)

صديقتك

إيزا

إننى أفكر فى رهبة، لو كان على أن أنسج رواية من هذه القصة
الواقعية، فى الجهد الذى يتحتم على أن أبذله فى صياغة هذه
الصفحات التى يستلزمها الإطناب، وفكرت بعد قراءتها، وتساءلت
فى أمرها وانتهى بى التفكير إلى الحيرة والبلبلة والحقيقة أننى عرفت
فى وجوم أسبه بالوجوم الذى يستتبع صدمة عنيفة، وعندما بلغ
سمعى، عبر اضطراب دمائى، صوت الجرس يدق ويكرر الدق،
تبينت أنه صوت الجرس الثانى الذى يدعو للغداء، فكيف لم "أسمع
الدقة الأولى ؟ وأخرجت ساعتى فوجدتها تشير إلى الثانية عشرة ..
فقفزت إلى الخارج فى الحال أضم إلى قلبى تلك الرسالة واندفعت
عارى الرأس تحت وابل المطر المنهمر .

فلقيت آل فلوش قلقين لغيابى، ولما بلغتهما لاهثًا، صاخا بى
قائلين : إنك أيها السيد العزيز مبلل الثياب، مبلل تماما .

ثم رفضا أن يجلس أحد إلى المائدة قبل أن أغير ثيابى، فما أن
نزلت حتى جعلا يسألانى فى تودد المحب، فوجدتنى مضطرا لأن
أقص عليهما أن المطر احتجزنى داخل المنزل وأننى ظللت أنتظر عبثا
مهلة يمنحها المطر المنهمر. فاعتذرا عن رداءة الطقس وبشاعة الممرات ،
كما اعتذرا عن دق الجرس الثانى قبل مواعده بكثير ، وأن الجرس

الأول دق دقا أضعف من المعتاد . . . وانطلقت الأنسة " فيردور " لتحضر شالا رجاني آل فلوش أن أعطى به كتفى لأننى كنت لا أزال أتصعب عرقا ومن الجائز أن أصاب بسوء، وكان القس فى تلك الأثناء يراقبنى دون أن ينبس بكلمة، وقد ضم شفتيه شديدا حتى بدا عابس الوجه وكنت شديد الحساسية بحيث إننى تحت وطأة نظرتة، شعرت بالحجل والارتباك كطفل أتى ذنبا، فرأيت من الواجب أن أتودد إليه لأننى بعد ذلك لن أعرف شيئا إلا عن طريقه، فهو وحده يستطيع أن يجلو لى ما غمض من هذا الموضوع الشائك الذى أصبحت أنجذب نحوه بدافع الحب أكثر من دافع الفضول .

وبعد تناول القهوة، كانت السيجارة التى قدمتها للقس ذريعة للمحادثة، فتوجهنا للتدخين فى تعريشة البرتقال حتى لا نضايق البارونة، فبادرنى فى لهجة ساخرة قائلا :

- كنت أظن أنك لن تمكث هنا أكثر من ثمانية أيام .

- هذا ما كنت أنوى عمله، لولا تطف أهل الدار !

- ووثائق السيد فلوش ؟

- استوعبتها . . ولكننى وجدت سببا أدعى للانشغال .

- وانتظرت منه استفسارا، ولكنه لم يقل شيئا .

فاستطردت قائلا وقد نفذ صبرى :

- لا بد وأنك تعرف أسرار هذا القصر وخفياها ؟

فجحظت عيناه، وقطب جبينه، وتظاهر بالبراءة والبلاهة.. فقلت :
- لماذا لا تقيم مدام دسانت - أوريول، والدة تلميذك، هنا بيننا،
فتوزع اهتمامها بين ابنها العاجز ووالديها المسنين ؟
ولكى يجيد تمثيل دور المندھش، ألقى بسيجارته وفتح يديه
كالقوسين حول وجهه، وهمهم قائلاً :
- ربما كانت مشاغلها تستدعى وجودها فى مكان آخر . ياله من
سؤال مغرض !

- هل تريد سؤالاً أكثر تحديداً .. ماذا فعلت السيدة أو الأنسة
دسانت - أوريول، والدة تلميذك ليلة ٢٢ أكتوبر حيث كان من
المفروض أن يأتى حبيبها لاختطافها ؟
فحط قبضتيه على خاصرتيه وقال :
- عجباً ! عجباً ! ياسيدى الروائى .

كنت قبل ذلك قد وجدتنى منساقاً إلى الإفضاء له بأسرارى، وهو
إفضاء لا ينبغى أن يكون إلا لشخص يبادلنى ودا بود ؛ لأن القس ما
أن أدرك مقصدى، حتى شرع يسخر منى بطريقة لا طاقة لى بها،
وأضاف قائلاً :

ألا ترى أنك تتسرع قليلاً ؟ هل لى أن أسألك بدورى كيف
توصلت إلى هذه المعلومات ؟

- إن الرسالة التى كتبتها إيزابيل دسانت أوريول إلى حبيبها فى
ذلك اليوم لم يكن قد تسلمها هو، بل تسلمتها أنا .

فعلا، كان يجب أن يدرك مدى خطري، وفي تلك اللحظة لمح بقعة صغيرة على كم ردائه، فشرع يحكها بطرف ظفره، وبدأ يغير من موقفه .

إننى معجب بهذا التصرف . . ما أن يعتقد أحدكم أنه ولد روائيا حتى يستبيح لنفسه جميع الحقوق، ولو كان غيرك مكانك لفكر مرتين قبل أن يطلع على رسالة ليست موجهة إليه .

- بل إننى أرجو ألا يكون قد اطلع عليها بتاتا .

كنت أتفرس وجهه، غير أنه كان لا يزال يحبك رداءه، وقد غض من عينيه .

- ومع كل، فإننى لا أظن أن أحدا طلب منك أن تقرأها .

- لقد وقعت هذه الرسالة بين يدي عن طريق المصادفة، كان مظروفا رثا متسخا، شبه ممزق ولا يحمل أى أثر لكتابة، وعندما فتحت، وجدت رسالة موجهة من الأنسة دسانت - أوريول، ولكن إلى من كانت موجهة؟ هيا ياسيدى القس عاوننى، من كان منذ أربعة عشر عاما عشيق الأنسة داسنت - أوريول؟ كان القس قد انتصب معتدلا، فشرع يسير طولا وعرضا فى خطى قصيرة، مطأطئ الرأس، مشبكا يديه خلف ظهره، وما أن أصبح خلف مقعدى للمرة الثانية، حتى توقف، وشعرت على حين بغتة بيديه تستقران فوق كتفى :

- أرنى هذه الرسالة .

- هل ستتكلم؟

وشعرت بقبضتيه ترتجفان من الالهفة .

- أه ! لا تشتط ، أرجوك .. أرني هذه الرسالة ... فقط .

- دعني أذهب لأحضرها .

قلتها محاولا التخلص منه .

إنها معك هنا، في جيبك .

كانت عيناه مسددتين إلى مكان الرسالة كما لو كانت سترتي تكشف عنها، فلعله لا يقوم بتفتيشي !

كان وضعي لا يسمح لي بالدفاع عن نفسي، وخاصة ضد عملاق أقوى مني، ثم ما السبيل، بعد ذلك إلى حملة على الكلام؟ فالتفت. فإذا بوجهه يكاد ينطبق على وجهي كان وجهه منتفخا متورما خط جبينه عرقان ضخمان، وأسفل عينيه جيوب بغيضة .

فتكلفت الضحك خشية أن أفسد كل شيء بيننا، وقلت له :

- لعمرى أيها القس، أعترف أنك مثلي تعاني من الفضول !

فأخلى سبيلي، فنهضت في الحال، وتظاهرت بالخروج .

- لو لم تستخدم معي أساليب قطاع الطرق، لكنت أريتك الرسالة .

ثم قلت وأنا أتناوله من زراعه :

- فلنقترب من قاعة الاستقبال، لأتمكن من طلب النجدة .

كنت أبذل مجهودا خارقا لأحافظ على روح الدعابة في لهجتي،

إلا أن قلبي كان يدق دقا شديدا .

- خذ، اقرأها أمامي، أريد أن أرى كيف يقرأ القس رسالة غرام .
قلتها وأنا أخرج الرسالة من جيبى .

ولكنه وقد تملك نفسه من جديد، لم يظهر أى انفعال إلا من خلال رعشة خفيفة فى عضلة صغيرة على خده كان من المستحيل إخفاؤها، وقرأ الرسالة، ثم تشمم الورقة ونشقها وهو يقطب حاجبيه فى شدة وبطريقة يبدو منها أن عينيه تسخطان على نهم أنفه، ثم أعاد طى الرسالة وردها إلى، وقال بلهجة شبه رسمية .

- فى نفس ذلك اليوم الثانى والعشرين من أكتوبر، قُتل الفيكونت بليز جونفريفيل فى حادث أثناء قيامه بالصيد .

- رننى أنتفض فزعا لما تقول (فسرعان ما نسج خيالى قصة مأساة مهولة) ويجب أن تعرف أننى عثرت على هذه الرسالة خلف أخشاب الدار، وما من شك فى أنه كان من المفروض أن يحضر إلى ذلك المكان ليتسلمها . .

وعندئذ أخبرنى القس أن أكبر أبناء جونفريفيل - وكانت ضيعتهم تجاور ضيعة آل دسانت أوريول - قد وجد قتيلا بجوار حاجز من الحواجز كان فيما يبدو أنه يجتازه، عندما أتى حركة خرقاء فانطلق عيار من بندقيته، ومع ذلك فلم يعثر فى ماسورة بندقيته على خرطوش العيار ولم يتقدم أحد بأية معلومات عن الحادث، فالشاب كان قد خرج بمفرده ولم يره أحد، إلا أنه فى اليوم التالى، عشر المارة على كلب من كلاب الكارفورش يعلق فى بركة من الدماء بالقرب من الدار .

وأردف القس قائلاً :

- لم أكن بعد قد حضرت إلى قصر الكارفوش، ولكنه يبدو لي، طبقاً للمعلومات التي تمكنت من جمعها أن جراسيان هو الذي ارتكب الجريمة، فليس من المستبعد أن يكون قد اكتشف ما كان بين سيده والفيكونت من علاقات، وربما علم كذلك بموضوع هروبها (وهو موضوع كنت أجهله أنا نفسي قبل أن أقرأ هذه الرسالة) فهو خادم عنيد، شرس، لا يتورع عن إتيان أى فعل فى سبيل الذود عن حمى أسياده .

- ولماذا لم يقبض عليه ؟

- لم يكن لأى أحد مصلحة فى اتهامه، وكان آل جونفريفيل وآل دسانت أوريول يخشيان ماقد يثار من شائعات حول هذا الحادث المفجع، وفوق ذلك، فبعد عدة شهور وضعت الأنسة سانت أوريول طفلاً بائساً، وينسب الناس عاهة " كازيمير " إلى ما اتخذته أمه من تدابير بغية إخفاء حملها، ولكن الله يعلمنا أن عقاب الآباء غالباً ما يقع على الأبناء . تعال معى إلى الدار، فإننى مشوق إلى رؤية المكان الذى عثرت فيه على الرسالة .

كانت السماء قد عادت إلى صفائها، فاتخذنا طريقنا إلى الدار معاً، وتم ذهابنا على خير مايرام، فقد تناول القس دراعى، ومضينا نسير فى خطى متساوية ونتحدث بلا صدام، ولكن الأمر فسد عند عودتنا، فما من شك فى أن غرابة الحادث قد أثرت فى نفس كل منا، ولكن بطريقة مختلفة تماماً، أما أنا، فأمام ما أظهره القس حيالى من

حسن الالتفات والتلطف في اطلاعي على المعلومات، فقد نسيت ما يمليه رداؤه من احترام وهيبة، كما نسيت تحفظي، ووجدتني أتحدث إليه كما لو كان رجلاً عادياً .. وإليكما، فيما أعتقد، كيف دب لخلاف بيننا : كنت أقول له :

- من ذا يحكى لنا ما فعلته الأنسة دسانت-أوريول في تلك الليلة !
فما من شك أنها لم تعلم بخبر موت الكونت إلا في الصباح ؟ فهل انتظرته في الحديقة ؟ وحتى متى ؟ وماذا طنت عندما لم يأت ؟
كان القس يلزم الصمت جامدا تماما، لا يتأثر لشاعريتي، فعدت أقول :

- تصور هذه الفتاة الرقيقة، وقلبها مثقل بالغرام والأسى ورأسها مفعم بالهوس، إيزابيل، المتيمة ! فهمس القس :

- قل إيزابيل الفاجرة !

- فواصلت حديثي كأنما لم أسمع همسه، ولكنني كنت قد عزمتم على الدفاع عنها لو عاد إلى مهاجمتها .

- فكر في كل ما كانت تعلقه من آمال، وما انتابها من يأس ..
فقاطعتني في جفاء :

- ولماذا تفكر في هذا كله ؟ ليس علينا أن نعرف عن الأحداث سوى ما يفيدنا .

- ولكن الفائدة منها تختلف باختلاف المعلومات التي نعرفها عنها .

- ماذا تقصد بذلك ؟

- إن معرفتنا السطحية بالأحداث لا تتفق ومعرفتنا العميقة التي نستطيع فيما بعد أن نتوصل إليها، وأن المعلومات التي نستخلصها من كل هذين النوعين من المعارف لا تكون واحدة، وأن من الخير أن نتمعن الأمور ونتقصاها قبل أن نخلص إلى النتائج .

- صديقي الشاب، اعلم أن الميل إلى التمعن والتقصي وحب الانتقاد هما جرثومة التمرد . إن الرجل العظيم الذي اتخذته مثالا كان أحرى أن يعلمك أن

- تقصد ذلك الذي أكتب عنه رسالتي .. يالك من مناكف لحوح، أبعث هذه الروح ..

- ولكن بالله عليك ياسيدي القس إلا أخبرتني . أليس هذا الفضول نفسه هو الذي جعلك تصحبنى فى هذه الساعة، ودفعك منذ قليل إلى موضوع الرسالة، وحدا بك رويدا رويدا إلى معرفة كل هذا الذى أخبرتني به من جوانب هذه القصة !

كان قد أسرع من خطاه، وغدت لهجته قاطعة، وجعل يضرب الأرض بعصاه زهقا متبرما .

- إننى لا أبحث مثلك عن تفسيرات للتفسيرات، فما أن أعلم بالحادث حتى اقتصر على معرفته . إن الوقائع الرهيبة التى أخبرتك بها تعلمنى، إذا كانت لاتزال هناك حاجة إلى تعليم، بشاعة الرذيلة التى يردينا فيها الجسد . وفيها إدانه للطلاق ولكل ما تفتق عنه عقل الإنسان ليتجنب نتائج ما جنته يده من أخطاء . أظن أن فى هذا الكفاية، أليس كذلك ؟

- ليس فى هذا الكفاية . إن الواقعة لاتعنى فى شئ مادمت
لا أنفذ إلى سببها . إن معرفة الجانب الخفى فى حياة إيزابيل دسانت
- أوريول، والاطلاع على المسالك العطرة الشجية المعقدة

- حذار أيها الشاب ! لقد بدأت تهيم بها !

أه .. هذا ماكنت أنتظره ! الآن المظهر لايفينى، ولقد أكتفى
بالأقوال والإشارات .. أوافق أنت من أنك لاتسى الحكم على هذه
المرأة ؟

إنها فاجرة !

فإذا الغيظ يلهب رأسى، ولم أتمكن من كظمه إلا بمشقة بالغة .

- سيدى القس، إن مثل هذه الألفاظ تدهشنى عندما تخرج من
فمك . يبدو لى أن المسيح يعلمنا أن الصفح أجمل من التنكيل .

- فارق بسيط بين التسامح والمجاملة .

- لو قدر له أن يكون مكانك، لما قضى بمثل قضائك .

- أولا، هذه الأمور لاتدرى عنها شيئا . ثم إن المعصوم من
الخطايا يستطيع أن يكون حيال الآخرين أكثر تسامحا من ذلك الذى ..
أقصد أننا نحن معشر العصاة ليس لنا أن نتحلل الأعذار للمعاصى،
كل ما علينا عو أن نشيح عنها بوجوهنا فى استنكار .

- بعد أن نتشممها كما تشممت أنت عطر هذه الرسالة .

- أنت وقح .

وحداد عن الطريق فجأة، وانطلق مسرع الخطى، سالكا طريقا ضيقا قريبا وهو يرميني على طريقة البارتيين (١) بعبارات جارحة لم أميز منها سوى هذه الألفاظ : تعليم حديث.. سوربوني .. زنديق .. !

وعندما التقينا علي العشاء كان لا يزال عابسا، ولكنه ما أن غادرنا المائدة حتى أقبل نحوي مبتسما، وبسط لى يدا شددت عليها وأنا أبتسم أيضا، ولاحت لى السهرة أكثر مللا من المعتاد . كان البارون يثن فى هدوء إلى جانب النار، وكان السيد فلوش والقس ينقلان نردهما دون كلام، ويطرف عيني، رأيت كازيمير، وقد دس رأسه بين يديه، يسيل لعبه فى بطء فوق الكتاب فيمسحه من آن لآخر بحركة من منديله ، أما أنا، فلم أعر لعبة البيزيج من الاهتمام إلا ما لم يسبب لزميلتى خسارة فاضحة مخزية ، وكانت مدام فلوش تلاحظنى وتجزع لضجرى، فكانت تبذل جهداً عظيماً لتثير الحماسة فى اللعب .

- هيا يا أوليمب ! هنا دورك . هل تنامين ؟

كلا، لم يكن النعاس وإنما الموت الذى أصبحت أشعر بخدره الغامض يجمد أهل الدار، وأنا نفسى كنت أشعر بالقلق بل بالضيق يطبق على صدرى، وجعلت أحاطب نفسى قائلا وأنا أفكر فى إيزابيل : أيها الربيع ! أيها الرياح الهائلة، أيها العطور المغربية، أيها الموسيقى العذبة، لن تصلى إلى هذا المكان أبدا . ما أبشع القبر الذى أفلت منه

(١) شعب همجى عاش فى شمال أوروبا وآسيا (٢٢٥ق م - ٢٢٤) كان يتظاهر بالفرار أمام أعدائه ، ثم يرميهم من فوق الجياد بالسهم التى يلقيها من فوق أكتافه موجهة إلى الخلف، ومن هنا جاء المثل الذى يقول : رماه بسهم البارتيين، أى أصابه واختفى . (المترجم)

وإلى أى حياة ياترى انطلقت ؟ إننى أتخيلك هناك فى ضوء المصباح الهادئ وقد وضعت جبينك الشاحب على أناملك الرقيقة، وخصلة من شعرك الفاحم تلامس معصمك وتداعبه . ما بال عينيك تتطلعان بعيداً وما هذا الضجر الذى يعانیه جسدك وروحك وتعبر عنه هذه الزفرة التى لا يسمعونها ؟ ومنى أنا أيضاً، ودون أن أدري، أفلتت زفرة هائلة أقرب إلى الثائب أو النحيب ، حتى إن مدام " دسانت - أوريول " صاحت وهى تلقى بأخر ورقة على المنضدة :

- أظن أن السيد " لاكار " يرغب رغبة شديدة فى النوم .

- يا للمرأة المسكينة !

وفى تلك الليلة، رأيت فى المنام حلماً لم يكن فى بادئ الأمر سوى تنمة للواقع، فقد رأيت أننى، ولما تنته السهرة بعد، لا أزال فى حجرة الاستقبال، إلى جوار أهل الدار، ولكن جماعة لايفتأ عددها يزيد، كانت تنضم إليهم، مع أننى لم أر أحداً آخر يدخل علينا، وتعرفت كازيمير جالساً إلى المنضدة أمام إحدى الألعاب . وكان ثمة ثلاثة رجال أو أربعة مائلين على اللعبة، وكان الحاضرون يتحدثون بصوت خفيض، بحيث إننى لم أتمكن من تمييز عبارة واحدة مما يقولون، ولكننى فهمت أن كل شخص يخبر جاره بأمر عجيب فيشير دهشته .

وكان الاهتمام موجهها إلى مكان ما بالقرب من " كازيمير " حيث تعرفت فجأة إيزابيل دسانت أوريول " جالسة إلى المائدة (كيف لم ألاحظها قبل ذلك) كانت وحدها ترتدى ثياباً بيضاء وسط الحلل

القائمة، ولاحت لى فى بادئ الأمر جميلة ساحرة، شبيهة بالصورة،
ولكننى سرعان ما أخذت بجمود ملامحها وثبتت نظرتها وأدركت
فجأة ما كان يهمس به القوم .

لم تكن التى أمامنا إيزابيل الحقيقية، وإنما دمية تشبهها يضعونها
مكانها أثناء غياب الأصل، وعندئذ بدت لى هذه الدمية قبيحة دمية،
وضاق صدرى أمام مظهر غبائها المتحذلق، كان الناظر يظنها ساكنة
تماما، وأنا أحرق النظر فيها رأيتها تميل فى ببطء إلى جانب، تميل وتميل
حتى كادت تسقط، فانطلقت الأنسة " أوليمب " من الطرف الآخر
لحجرة الاستقبال، ومالت حتى بلغت الأرض، ورفعت غطاء الكرسي
الموسد، وملأت زنبكا جعل يصدر صريرا غريبا، فإذا بالمسخة تعتدل
وتحرك ذراعيها حركة آلية غريبة تثير الضحك، ثم نهض الجميع عندما
حان وقت الانصراف، تاركين خلفهم إيزابيل الزائفة وحدها، وكان
كل فرد من المنصرفين يحييها بانحناءة على الطريقة التركية، فيما عدا
البارون الذى اقترب منها دون مراعاة، وأمسك شعرها المستعار بقبضته
وطبع على جبينها قبلتين رنانتين وهو يضحك مقهقها، وما أن خلت
حجرة الاستقبال من الزائرين - وقد رأيت جمهورا غفيرا يخرج -
وأطبق الظلام، حتى رأيت، نعم رأيت رغم الظلام، رأيت الدمية وقد
شحب لونها، وانتفض بدنها، وسرت فيها الحياة، كانت تنهض فى
بطء، فإذا بها الأنسة دسانت أوريول بشحمها ولحمها، فتوجهت
نحوى بلا ضراء، وسرعان ما شعرت بذراعيها الفاترتين تطوقان
عنقى، واستيقظت على حر أنفاسها وهى تقول لى :

- إننى بالنسبة لهم غائبة، أما بالنسبة لك فإننى حاضرة .

أنا لست متطيرا ولا هيابا، وإذا كنت قد أشعلت شمعتي، فذلك
لكي أصرف عن عيني وعن رأسي هذه الصورة المائلة أبدا، ولقد
تجشمت في سبيل ذلك مشقة كبيرة، وعلى الرغم مني كنت أتحدث
على كل صوت، فعساها تكون موجودة . . . وعبثا أخذت نفسي
بالقراءة، فلم أتمكن من صرف انتباهي عنها إلى أي شيء آخر وهكذا،
وأنا غارق في التفكير فيها، عاودني النوم حتى الصباح .

وهكذا ففرت الحماسة التي لازمت فضولى ، فضول العاشق، ولم أتمكن من إرجاء رحيلى أكثر من ذلك بعد أن أخبرت به أهل الدار مرة أخرى، وكان ذلك اليوم هو آخر أيامى فى الكارفورش، وفى ذلك اليوم ..

نحن الآن على الغداء فى انتظار البريد الذى اعتادت « ديفلين » أن تحمله إلينا قبل تقديم الحلوى بقليل ، وكما سبق أن قلت، إنها كانت تسلمه لمدام فلوش، فتتولى هذه توزيع الرسائل وتقديم جريدة « الحوار » إلى السيد فلوش الذى يختفى خلف صفحاتها حتى يغادر المائدة، وفى ذلك اليوم تعلق مظروف رسالة بنفسجى اللون بطرف الجريدة، وانفصل عن الحزمة وطار حتى حط فوق المائدة بجوار طبق مدام فلوش، وتمكنت من التعرف على الخط الكبير غير المنظم الذى دق له قلبى مساء أمس، وتعرفت عليه أيضا مدام فلوش فيما يبدو، فأتت حركة سريعة لتغطى المظروف بطبقها، إلا أن الطبق اصطدم بكوب فحطمه وانتشر النيذ فوق المفرش، وقد أحدث ذلك ضوضاء

عالية، فانتهزت مدام فلوش ذلك الاضطراب وأدخلت المظروف في قفازها .

وقالت في سداجة طفل يتحلل عذرا :

- لقد أردت أن أسحق عنكبا .

(وكانت لا تفرق بين العناكب وغيرها من الحشرات التي تخرج في بعض الأحيان من سلة الفواكه) ونهضت مدام سانت أوريول ملقية بمنشفتها دون طي فوق المائدة، وقالت في لهجة حادة :

- أراهن أنك أخطأت هدفك . إلحقى بي في حجرة الاستقبال .

معذرة أيها السادة ، فقد عاودنى المغص .

وانتهى العشاء في صمت، ولم ير السيد فلوش شيئا، ولم يدرك السيد سانت أوريول شيئا، وكذلك كان القس والأنسة فيردور يسלטان النظر كُتْل في طبقه، ولو لم يتمخط كازيمير، لرأيته بيكى .

كان الجو فاترا، وأحضرت الأنسة فيردور القهوة إلى الشرفة الصغيرة التي تمثلها البسطة المفضية إلى حجرة الاستقبال، كنت بمفردى أتناول القهوة مع الأنسة فيردور والقس، وبلغت آذاننا ضوضاء وأصوات آتية من حجرة الاستقبال التي حُبست فيها السيدتان، ثم لم نعد نسمع شيئا، فقد صعدت السيدتان . . . وعندئذ، لو صدقتنى الذاكرة، دارت مشاحنة شجرة الزان ذات أوراق البقدونس .

كانت الأنسة فيردور والقس في حالة حرب دائمة، ولم تكن المعارك بينهما جادة خطيرة، فقد كان القس يبغى الضحك والمزاح، إلا أن أكثر ما كان يثير سخط الأنسة فيردور، هي لهجة القس الساخرة التي كان يتحدث بها . كانت تعرض نفسها لضربات فيكييل لها في الصميم، وكان لا يكاد يمضي يوم واحد دون أن ينشب بينهما صدام، كان القس يسميه مشاحنة، فقد كان يزعم أن صحة العانس في حاجة إلى مثل هذه المشاحنات، فكان يفعل بها ما يشاء، وهي تطيعه وتنفذ ما يريد، أشبه بكلب مطيع، ولم يكن في ذلك شرسا أو ميالا للإيذاء، مع أن تصرفاته معها لم تكن تخلو من المكر والخبث وإثارة الأعصاب، كان هذا يشغل أوقاتها ويملاً الحياة من حولهما بهجة ومرحا .

كانت الحادثة التي وقعت أثناء تناولنا الحلوى قد أثارت أعصابنا، وحاولت أن أصرف الأذهان عنها، وعندما كان الأب يصب القهوة، عثرت يدي على حزمة من أوراق الشجر داخل جيب سترتي، كنت قد قطفتها من شجرة غريبة تنمو بجوار الباب الحديدي للمدخل، لكي أسأل الأنسة فيردور عن اسمها، ولم يكن ذلك لأتني شغوف بمعرفتها، ولكن لأن الأنسة فيردور كانت تُسرُّ عندما يلجأ إليها أحد ليستفسر منها عن أمر من الأمور .

فقد كانت تهتم بعلم النبات، وكانت في بعض الأيام تخرج لجمع الأعشاب وقد علقت فوق كتفيها القويتين علبة خضراء، فتبدو غريبة الشكل، وتقضي بين أعشابها. ومجهرها ما تسمح به أعمال المنزل من

فراغ .. وعلى ذلك فقد تناولت الأنسة فيردور الغصن وقالت
دون تردد :

- هذا غصن من شجرة الزان ذات أوراق البقدونس .

فعقبت قائلاً :

- ياله من اسم غريب! ومع ذلك فإن هذه الأوراق المدببة لا علاقة
لها بتاتا بأوراق ..

كان القس منذ لحظة يضحك في خبث، فقال دون أن يعير الأمر
أى اهتمام :

- هكذا يسمون في الكارفورش شجرة « الفاجوس بيرسيسيفوليا » .
فانتفضت الأنسة فيردور وعقبت قائلة :

- لم أكن أظنك عارفا بعلم النبات إلى هذا الحد .

- كلا، ولكننى ملم إلى حد ما باللغة اللاتينية .

ثم مال على وأضاف قائلاً :

- إن هؤلاء السيدات يقعن ضحية خطأ لا دخل لهن فيه .
إن كلمة بيرسيكوس يا أنسى العزيزة، معناها الخوخ لا البقدونس،
وعلى ذلك فإن « الفاجوس بيرسيسيفوليا » التى لاحظ السيد لاكاز
أوراقها، المدببة إنما هى « شجرة الزان ذات أوراق الخوخ » ..

كان وجه الأنسة فيردور قد امتقع لونه، وكان الهدوء الذى أظهره
القس قد أهاج أعصابها إلا أنها تمكنت أن تقول دون أن تنظر إليه :

- إن علم النبات الحقيقى لا يهتم بالشواذ ولا بالمسوخ .

ثم أفرغت فتجانها دفعة واحدة ومضت كالريح .
كان القس قد ضم شفثيه فأصبح فمه مثل مؤخرة الدجاجة،
وجعلت تخرج منه أصوات أشبه بالضراط، وبذلت مجهودا كبيرا حتى
لا أضحك .

- هل تكون شرسا هكذا يا سيدى القس ؟

- كلا، كلا . . إن هذه الأنسة التى لا تؤدى كفايتها من
التمرينات، فى حاجة إلى أن نلهب لها دمها، وهى تميل إلى العراك،
تصور أنى لو مكثت ثلاثة أيام دون أن أناوشها لأتت بنفسها وبدأت
النزال، ثم إن وسائل اللهو فى الكارفورش ليست كثيرة !

وعندئذ شرع كلانا، بلا كلام، يفكر فى رسالة الغداء، ثم بادرت
بسؤاله قائلا :

- هل عرفت ذلك الخط ؟

فهز كتفيه وقال :

- قبل الآن، أو بعده بقليل، تصل مثل هذه الرسالة إلى
الكارفورش مرتين كل عام، وذلك بعد سداد إيجارات المزرعة،
وبها تعلن عن حضورها :

فصحت قائلاً :

- أو ستحضر هى ؟

- هون عليك ! هون عليك فلن تراها .

- ولماذا لا أستطيع أن أراها ؟

- لأنها تحضر فى منتصف الليل ، وترحل فى الحال ، ثم إنها تتجنب النظرات .. ثم حذار من جراسيان ، كان يحدق النظر فى وجهى : فلم أحرك ساكنا ، فاستطرد فى لهجة المحتد :

- أنت لم تعمل حسابا لما قلت لك ، وهذا يبدو واضحا ، ولكننى أندرتك ، فافعل ما بدا لك ، وأتتى غدا بالأخبار .

ونفض وتركنى دون أن أتمكن من معرفة هل كان يحاول أن يحد من فضولى أم كان بالعكس ، يثيره ويلهبه ، وحتى المساء ظل فكرى الذى لا أحب أن أصف اضطرابه ، ظل لا شاغل له إلا انتظارها . أمن الممكن أن أكون وقعت فى حب إيزابيل ؟ كلا ، بالطبع ، ولكننى تماديت فى لهوى حتى تحرك قلبى بمثل هذا العنف ، كيف لا يختلط على الأمر ؟ وقد صادفت فى فضولى كل ما يصاحب الغرام من شوق وارتباك ولهفة ، ولم تزدنى كلمات القس الأخيرة إلا حماسة وتصميما ، ماذا يستطيع أن يصنع بى « جراسيان » ؟ لسوف أسير فوق الشوك والجمر إن دعا الأمر .

وما من شك فى أن أمرا ما غير عادى كان يُدبر ، ففي ذلك المساء لم يقترح اللعب أحد ، وما أن فرغنا من العشاء ، حتى بدأت مدام سانت أوريول تشكو مما كانت تطلق عليه « مغصا » ، وإذا بها تنسحب بلا استئذان ، وتجهز لها الأتيسة فيردور شرابا ساخنا ، وما هى إلا لحظات حتى طلبت مدام فلوش من كازيمير أن يذهب لينام ، وما أن انصرف الغلام حتى قالت لى :

- أعتقد أن السيد « لاكاز » يرغب فى النوم أيضا، فيبدو أن
النحاس يداعب أجفانه، ولما لم أبادر بالإجابة على تعليقها أضافت قائلة :
- آه .. أعتقد أنه ما من أحد منا سيطيل السهرة أكثر من ذلك .

ونهضت الأنسة « فيردور » لتشعل الشموع، وسرت فى أثرها أنا
والقس، فرأيت مدام فلوش تميل على زوجها الذى كان يغط فى نومه
فوق المقعد بالقرب من الموقد، فنهض من فوره ثم سحب البارون من
ذراعه فأطاعه هذا الآخر كما لو كان يدرك معنى تلك الحركة، وعلى
بسطة الطابق الأول كان كل منا يحمل شمعة، فانصرف كل إلى
حجرته، وعندئذ قال لى القس بابتسامة غامضة :

- طابت ليلتك ا وهنت بنومك .

فأغلقت باب حجرتى، ثم مكثت أترقب . لم تكن الساعة قد
تجاوزت التاسعة، وسمعت مدام فلوش وهى تصعد إلى حجرتها، ثم
سمعت الأنسة فيردور، وحدثت على بسطة السلم مشادة حامية بين
مدام فلوش ومدام سانت أوريول التى كانت قد خرجت من حجرتها،
وكانتا بعيدتين عنى بحيث لم أتمكن من تمييز ما تبادلتهما من الألفاظ،
ثم سمعت ضوضاء أبواب تغلق، ثم لم أعد أسمع شيئا .

وتمددت فى فراشى حتى أنصرف إلى التفكير، فاستعدت التمنيات
الطيبة بالنوم الهانئ التى ودعنى بها القس، وتمنيت لو عرفت هل تهيأ
هو للنوم أم أنه ترك الحبل على الغارب للفضول الذى أنكره أمامى ؟
ولكنه كان يرقد فى جناح آخر من القصر يقع فى الطرف المقابل

لحجرتى ، ولم يكن هناك من سبب وجيه يبرر انتقالى إليه ، ومع ذلك
فإينا سيكون حرجا لو فاجأ كل منا صاحبه فى الدهليز ؟ وبينما أنا
غارق فى التفكير ، وقع لى حادث سخيف مخجل لا يمكننى أن
أصرح به ، فغلبنى النوم .

أجل ، فإن الإجهاد الذى تملكنى من فرط الانتظار بعد الليلة
السابقة التى قضيتها فى الأرق والقلق ، تغلب على رغبتى وحرصى
فى البقاء ساهرا متيقظاً ، فاستغرقت فى نوم عميق .

واستيقظت على طقطقة الشمعة وهى توشك على النفاد ،
أو ربما استيقظت على حركة هزت أرضية الدهليز فى صوت مكتوم
سمعتها أثناء نومي ، ما من شك فى أن أحدا سار فى الدهليز ،
فاعتدلت قاعداً ، وفى تلك اللحظة انطلقت شمعتى ، فمكثت فى ظلام
الليل حائراً ، ولم يكن معى ما أستضيئ به سوى بضعة أعواد من
الثقاب ، فحككت أحدها لأستبين الوقت من ساعتى ، كانت الحادية
عشرة والنصف . . فأرهفت سمعى . . ولكنى لم أعد أسمع شيئاً
وقمت أتحمس طريقى حتى بلغت باب الحجره ففتحته .

كلا ، لم يكن قلبى يدق رجفة أو اضطراباً ، بل كنت أشعر أننى
خفيف الجسم ، رابط الجأش ، مطمئن النفس ، متفتح الذهن ،
حازم الأمر .

وفى الطرف الآخر للدهليز كانت ثمة نافذة ترسل ضوءها فيصلنى
لا رائقاً صافياً كضوء الليالى الهادئة ، وإنما ضوءاً خفاقاً ينجلي حيناً
وحيناً يستتر ، فقد كانت السماء تمطر ، وكانت الرياح أمام القمر تحمل

سحباً كثافاً، وكنت قد خلعت حدائي، فتقدمت بلا ضوضاء . . . ولم أكن بحاجة إلى إمعان النظر لأبلغ المكان الذي كنت أعدده للمراقبة، وكان يمثل حجرة صغيرة مهجورة بجوار حجرة مدام فلوش، حيث كان يدور الهمس بعيداً عن الأنظار، وكان السيد فلوش يشغل هذه الحجرة في بادئ الأمر (ولكنه الآن أصبح يفضل جوار كتبه على جوار زوجته) وكان الباب الموصل إليها قد انفتح قليلاً، وكنت قد أحكمت إغلاقه بالمزلاج حتى أتجنب المفاجأة، فتأكدت أنني أستطيع أن أنظر بعيني من تحت إطار الباب، ولكي أبلغ ذلك، كان لابد لي أن أجلس فوق خزانة كنت قد دفعتها قريباً من المكان .

وفي تلك اللحظة كان يتسرب من تلك الفتحة بصيص من النور ينعكس على سقف الحجرة الأبيض فيهديني ويرشدني - ووجدت كل شيء على حاله التي تركته عليها في النهار - فصعدت فوق الخزانة وجلت ببصري في أرجاء الحجرة المجاورة . . .

كانت إيزابيل سانت أوريول موجودة .

كانت أمامي على بعد خطوات مني . . . جالسة على كرسي منخفض بلا مسند، سبب وجوده دهشتي في تلك الحجرة العتيقة، سيما وأنني لا أذكر أنني رأيته فيها عندما دخلتها أحمل الزهور، كانت مدام فلوش تجلس غائصة في مقعد موسد كبير، وكان إلى جوار الكرسي منضدة صغيرة، عليها مصباح يلقي عليها وعلى الأنسة « إيزابيل » ضوءاً ضعيفاً، وكانت إيزابيل تدير لي ظهرها، وكانت مائلة إلى الأمام تكاد أن تكون راقدة في حجر خالتها العجوز بحيث

لم أتمكن فى بادئ الأمر من رؤية وجهها، وسرعان ما رفعت هامتها، وكنت أتوقع أن أراها وقد تقدمت فى السن، مع أننى لم أكد أتعرف فى وجهها على تلك الفتاة التى طالعتها فى الصورة، وليس معنى هذا أنها كانت أقل جمالاً من الصورة، بل لقد كان جمالها من نوع آخر، جمالا أقرب إلى عالم الأرض ودنيا البشر، فإن تلك البراءة الملائكية التى تطلعتها فى الصورة قد زالت ليحل مكانها وجه ناعس ساهم عاطفى، وارتسمت فى طرفى شفيتها تغضنات تنم عن اشمئزاز لا أدرى كنهه، بينما هى فى الصورة فاغرة الشفتين، وكانت تتدثر بمعطف سفر ضد الماء من قماش شائع فيما يبدو، ولما كان المعطف مرفوعاً من ناحية، فقد أبان عن ثوب أسود لامع تدلت عليه يد تعرت من قفازها تمسك بمنديل، وكانت هذه اليد تبدو شاحبة هزيلة بطريقة غريبة، وكان رأسها مكسواً بغطاء من اللباد والريش المموج، يحوطه شريط من الحرير تدلت من تحته خصلة من الشعر الفاحم، ما أن تميل برأسها حتى تنطرح إلى الأمام فتحجب وجتها. كان الناظر يظنها فى لباس الحداد لولا شريط لامع أخضر يحيط برقبتها، ولم تكن تنطق بكلمة لا هى ولا مدام فلوش، إلا أنها كانت بيدها اليمنى تربت على ذراع مدام فلوش وتجذبها نحوها، ثم ما لبثت أن انهالت عليها لثما وتقبيلا .

وبعد ذلك رأيتها تهز رأسها، فتمايل خصلات شعرها، وتهفهم ذات اليمين وذات اليسار، عندئذ قالت وكأنها تعقب على عبارة قالتها من قبل :

- كل الوسائل ، لقد جربت كل الوسائل ، أقسم لك . .

فقاطعتها العجوز المسكينة وهي تضع يدها فوق جبين الفتاة :

- لا تقسمى يا بنيتى المسكينة ، إننى أصدقك بلا قسم .

كانت كل منهما تتحدث فى صوت خفيض أشبه بالهمس كما لو كانتا تخشيان أن يسمعهما أحد ، واعتدلت مدام فلوش فى جلستها ، ودفعت ابنة أختها فى رقة ثم استندت على ذراعى المقعد ، ونهضت ، ونهضت الأنسة سانت أوريول بالمثل .

وبينما كانت العجوز تتجه نحو الخزانة التى كان « كاريمير » قد أخرج منها الصورة أول أمس ، تقدمت الفتاة فى نفس الاتجاه بضع خطوات ، وتوقفت أمام منضدة صغيرة مسندة إلى الجدار وعليها مرآة كبيرة ، وبينما كانت العجوز تنقب فى أحد الأدراج ، لمحت الأنسة فى المرآة الشريط الزمردى الذى يطوق عنقها فبادرت بنزعه على عجل ، ولفته حول أصبعها . . وقبل أن تلتفت مدام فلوش ، كان الشريط الصارخ قد اختفى ، وكانت إيزابيل قد اتخذت هيئة التفكير والتأمل وتدلّت يداها إلى الأمام متشابكتين ، وغابت نظرتها .

وكانت مدام فلوش لا تزال تمسك فى إحدى يديها بحزمة المفاتيح ، وفى يدها الأخرى لفة صغيرة من الأوراق أخرجتها من الدرج ، وكانت تهم بالجلوس فى مقعدها الموسد ، عندما فتح الباب المواجه للباب الذى كنت أقف عنده ، فجأة وعلى سعتيه ، فكدت أصبح من شدة الدهشة ، فقد ظهرت البارونة فى إطار الباب شعناء مكشوفة الجبين مخضبة الوجه فى ثياب فضفاضة وعلى رأسها غطاء ضخّم من

الريش، وكانت تحمل شمعدانا ذا ست شعب، أخذت تهزه هزا عنيفا، وكانت كل شموعه مشتعلة فتغمرها بضوء خفاق، وتنتشر على الأرض قطرات من النور ولما كانت منهكة القوى، فقد أسرع بوضع الشمعدان فوق المنضدة الصغيرة التي تحمل المرآة، ثم عادت في أربع خطوات خفيفة إلى مكانها في إطار الباب، ثم تقدمت من جديد في خطى منتظمة، وبطريقة مهية تشيح بيدها المثقلة بالخواتم الضخمة، وما أن بلغت منتصف الحجر، حتى توقفت والتفتت مرة واحدة ناحية ابنتها، وقالت وهي لا تزال متوترة الحركة، وفي صوت حاد يكاد يخترق الجدران :

- إليك عنى، أيتها البنت العاقة ! لن أتأثر لدموعك، وشكاياتك قد ضلت سبيلها إلى قلبي حتى الأبد .

جاء هذا القول بطريقة خطابية أشبه إلى الصراخ، في نغمة واحدة، وفي هذه الأثناء كانت « إيزابيل » قد ارتمت عند قدمي أمها، وأمسكت بطرف ثوبها وجذبتة كاشفة عن حذاءين صغيرين من الحرير الأبيض، وجعلت تضرب بجبينها الأرض التي كان يكسوها بساط في ذلك الموضع، إلا أن مدام سانت أوريول لم تخفض نظرها لحظة واحدة، واستمرت تصوب إلى الأمام نظرات حادة جامدة كصوتها، ثم أردفت تقول :

- أو لم تكتفى بأنك جلبت الشقاء على أهلك، فتريدين أن تتمادى في . .

وهنا خفض صوتها على حين بغتة، فالتفتت ناحية مدام فلوش،

وكانت هذه قد تضاءلت وأخذت ترتجف في مقعدها الموسد،
وخاطبتها قائلة :

- أما أنت يا شقيقتى، فلو كان الضعف لا يزال . .

ثم استدركت قائلة :

- لو دفعك ضعفك الأثم إلى النزول مرة أخرى على تضمرعاتها،
ولو كان ذلك بقبلة، ولو كان ذلك بأقل عطاء، فتأكدي، كما أنك
متأكدة أنني شقيقتك الكبرى، أنني سأهجرك، ولن ترى لى وجهها
ما حيت .

كنت كأني في مسرح، ولكن لما كانت هاتان السيدتان لا تتمكنان
من ملاحظة نفسيهما، فلمن ياترى كانتا تمثلان هذه المأساة ؟ وكذلك
كانت الفتاة مبالغة في حركتها وإيماءاتها متكلفة فيها مثل أمها . .
وكانت الأم تواجهني بحيث كنت أرى إيزابيل من ظهرها، وقد ركعت
واتخذت وضع « أستير (١) » وهي تتضرع، وإذا بي أرى قدميها
فوجدتهما متعلتين حذاءً من الحرير فى لون الخوخ . هكذا بدا لى
تحت طبقة الوحل التى كانت تعلوه، وكانت ترتدى جوربا أبيض رأيت
أعلى الحذاء ترك عليه طرف الثوب المبلل الموحد عندما رفع بقعة قدرة . .
وعلى حين فجأة، دوى فى أعماقى كل ما تحكيه هذه الأشياء من

(١) زوجة الملك أسوويروس . تمكنت بتضرعها وتوسلها إلى هذا الملك من الحصول على
عفر شامل عن اليهود أهل ملتها، ثم هى بطلة إحدى مسرحيات راسين (المترجم) .

مغامرات وشقاء دويًا فاق في قوته شتائم العجوز، وإذا بعبرة
تخفق حلقى، فقررت أن ألحق « بايزابيل » في الحديقة، عندما
تغادر القصر .

وفي تلك الأثناء كانت مدام فلوش قد تقدمت ثلاث خطوات
مقتربة من مقعد مدام سانت أوريول :

- هيا، أعطيني هذه الأوراق المالية . أتظنين أنني لا أراها وأنت
تفركينها تحت قفازك ؟ أتظنيني عمياء أو مجنونة ؟ أعطيني هذه النقود
قلت لك !

وما أن استولت على النقود حتى قربتها من لهب شمعة من شموع
الشمعدان بطريقة مسرحية وهي تقول :

- إنني أفضل أن أقوم بإحراقها جميعا (هل يجب أن أقول إنها
تفعل ذلك ؟) على أن أعطيها منها فلسا واحدا .

ودست الأوراق المالية في جيبتها، واستأنفت إلقاءها :

- أيتها البنت العاقة .. أيتها البنت الجاحدة . إن الطريق التي
سلكتها أساوري وعقداني ستجعلين خواتمي أيضا تسلكها !

وبينما كانت تقول ذلك، هزت يدها المبسوطة في حركة خفيفة
فسقط منها خاتمان أو ثلاثة فوق البساط، فما كان من إيزابيل إلا أن
انقضت عليها أشبه بكلب جائع ينقض على العظام .

- انصرفي الآن : لم يعد بيننا ما يقال، وأنا بريئة منك ..

وتناولت مطفأة للشموع من فوق المنضدة، وجعلت تطفئ الشموع
الواحدة تلو الأخرى ثم انصرفت .

وعندئذ بدت الحجرة مظلمة، وفي تلك الأثناء كانت « إيزابيل »
قد نهضت، فمررت أصابعها على وجنتيها وطرحت إلى الورااء
خصلاتها المتناثرة وأصلحت من وضع قبعتها، وهزت جسمها فعدلت
المعطف وكان قد انحسر عن كتفيها قليلا ثم مالت على مدام فلوش
لتوديعها، ولاح لى أن المرأة المسكينة كانت تحاول أن تكلمها، غير أن
صوتها كان من الضعف بحيث لم أميز منه شيئا، فما كان من إيزابيل
إلا أن تناولت إحدى يدي العجوز المرتجفتين وضغطت عليها بشفتيها
دون أن تنبس بحرف واحد، وما هى إلا لحظة، حتى انطلقت إلى
الداهليز فى أثرها .

وفى اللحظة التى كنت أهبط فيها السلم، أوقفنى صوت ما،
فعرفت فيه صوت الأنسة « فيردور » التى لحقت بها « إيزابيل » فى
المدخل، ورأيتهما وأنا أميل على الدرايزين، كانت « أوليمب فيردور »
تمسك بيدها مصباحا صغيرا، وكانت تقول :

- هل سترحلين دون أن تقبليه ؟ - وفهمت أنها تتحدث عن
« كازيمير » - ألا تريدان أن تلقى عليه نظرة ؟
- كلا، يالولى، إبنى متعجلة للغاية، لا يجب أن يعرف أننى
حضرت .

وحل صمت وحركات لم أدرك معناها في بادئ الأمر، ثم اضطرب المصباح عاكسا ظلالات متراقصة .

وتقدمت الأنسة فيردور، وتقهقرت إيزابيل بضع خطوات، ثم سئمت :

- بلى، بلى، ذكرى لك منى . لقد احتفظت به منذ زمن طويل، أما الآن وقد تقدمت بى السن، فماذا أفعل به ؟

- لولى، لولى . أنت خير ما أتركه هنا .

فضمتها الأنسة « فيردور » بين ذراعيها :

- آه ! ياللمسكينة ! إنك مبلة تماما .

- إنه المعطف فقط .. ليس هناك من خطر . دعيني أنصرف بسرعة .

- خذى معطفا يقيك المطر على الأقل .

- لقد كف المطر .

- المصباح .

- ماذا سأصنع به ؟ إن العربة قريبة جدا . وداعا .

- الوداع، يا ابنتى المسكينة . أتمنى على الله أن ..

وغابت بقية العبارة فى النحيب، ومكثت الأنسة فيردور بضع لحظات مائلة بجسمها فى ظلام الليل، وصعدت هبة ريح رطبة من الخارج إلى بير السلم، ثم سمعت الأنسة فيردور تدفع المزلج فى الباب الذى كانت قد أغلقته ..

لم يكن بوسعى أن أمر أمام الأنسة « فيردور »، وكان « جراسيان » يحمل معه فى كل مساء مفتاح باب المطبخ، وكان هناك باب آخر فى الطرف الآخر من القصر كان من السهل أن أخرج منه، ولكن الطريق إليه كان طويلا، فقبل أن أبلغه تكون « إيزابيل » قد لحقت بعربتها . آه ! لو أناديها من النافذة . . وأسرعت إلى حجرتى . كان القمر قد عاد إلى الاحتجاب، فانتظرت لحظة أترقب صوت الخطى فهبت ريح شديدة، وبينما كان « جراسيان » يعود إلى المطبخ . سمعت من خلال حفيف الأشجار المضطربة عربة إيزابيل وهى تنطلق مبتعدة .



كنت قد أجلت كل مصالحي طويلا، فما أن عدت إلى باريس، حتى استولت علىّ المشاغل الكثيرة التي صرفت إليها ذهني واستأثرت بتفكيرى، وكان القرار الذى اتخذته بخصوص عودتى إلى الكارفورش فى الصيف القادم قد خفف من حدة أسفى لأننى لم أتماد فى المغامرة التى كنت قد بدأت أنساها، عندما تلقيت فى نهاية يناير إشعارا مزدوجا، فقد توفى السيد فلوش ولحقت به زوجته بعد فترة قصيرة، وعلى المظروف تعرفت على خطة الأنسة « فيردور » ولكننى أرسلت إلى « كازيمير » بعبارات الأسف والمشاركة المألوفة، وبعد أسبوعين تلقيت هذه الرسالة :

عزيزى السيد جرار :

(لم يرتض الطفل أن يدعونى بلقب العائلة) .

وكان قد سألنى قد إحدى نزهاتنا، وبالتحديد فى نفس اليوم الذى بدأت أحدثه فيه بلا كلفة، قال :

- ما اسمك ؟

- ولكنك تعرفه، يا كازيمير، اسمى السيد « لاكاز » .

- فعاد يقول :

- كلا، لا أريد هذا اللقب، وإنما أريد اسمك أنت ؟

« جميل منك أن تكتب لى، وكان خطابك جميلا، لأن الكارفورش الآن أصبحت حزينة، لقد أسيت جدتى يوم الخميس بوعكة، ولم يعد باستطاعتها أن تغادر حجرتها، هذا ولقد عادت والدتى إلى الكارفورش، ورحل الأب عنها، لأنه عُين خوريا فى « بروى »، وكان موت خالى وخالتى بعد ذلك، مات خالى أولا، وكان يكن لك حبا كبيرا، وفى يوم الأحد التالى ماتت خالتى بعد أن مرضت ثلاثة أيام، لم تكن أمى موجودة، وكنت وحدى مع « لولى » و « ديلفين » زوجة جراسيان، وهى تحبنى كثيرا، ولقد كان أمرا يبعث على الحزن والأسى لأن خالتى لم تكن تريد أن تفارقنى، ولكن لم يكن هناك مفر من ذلك، وأنا الآن أنام فى حجرتى بجوار « ديلفين » لأن « لولى » تركتنى إلى أخ لها استدعاها فى « الأورن » وجراسيان أيضا لطيف معى للغاية، ولقد علمنى طريقة الغسل^(١) وتلقيح الأشجار وهو شئ يسلىنى، ثم أننى أساعد فى تحطيم الأشجار .

(١) نقل الشتلة من الحوض إلى الأرض الدائمة (المترجم) .

أنت تذكر الورقة التي كتبت لى فيها تعهدك، عليك بنسيانها، فلن يكون هنا أحد لاستقبالك، إلا أنه يحزننى كثيرا ألا أراك مرة أخرى، لأننى أحببتك حبا صادقا . ولن أنساك .

صديقك الصغير كازيمير

لم أكرث كثيرا لوفاة السيد فلوش وزوجه، لكن هذه الرسالة الساذجة حركت مشاعرى، وكنت فى ذلك الوقت مشغولا، إلا أننى أخذت على نفسى عهدا بأن أخرج فى جولة استكشافية حتى الكارفورش، ما أن تبدأ إجازة عيد الفصح . ماذا يهمنى فى ألا يكون هناك من يستقبلنى ؟ لسوف أنزل فى «البون - ليفيك» واستأجر عربية . هل هناك حاجة إلى أن أضيف بأن احتمال لقاء « إيزابيل » الغامضة كان يجذبنى إليها بقدر شفقتى على الغلام ؟ كانت بعض فقرات الرسالة غامضة بالنسبة لى، ووجدت مشقة فى ربط الحوادث : مرض العجوز، ووصول إيزابيل إلى الكارفورش، ورحيل القس، ووفاة العجوزين التى لم تحضرها ابنة الأخت، وسفر الأنسة « فيردور » .. أينبغى ألا نرى فى ذلك كله سوى سلسلة من الأحداث العرضية، أم كان ينبغى أن أبحث عن صلة تربط بينها ؟ لو حاولت، فلا كازيمير سيفيدنى، ولا القس سيخبرنى .

فاضطرت للانتظار حتى شهر أبريل، وما أن كان اليوم الثانى من إجازتى، حتى سافرت .

وعلى محطة « بروى » لحت القس « سانتال » يتهيا ليستقل قطارى، فناديته، فأجابنى قائلا :

- ها أنت قد عدت إلى البلدة مرة أخرى .
- لم أكن أتصور فعلا أنني سأعود إليها بهذه السرعة .
- وصعدت إلى ديوانى، وكنا فيه وحدنا .
- إيه ! لقد حدثت أمور جديدة بعد زيارتك .
- نعم، لقد علمت أنك عيّنت خوريا فى « بروى » .
- دعك من هذا .
- ومد يده فى حركة فهمتها، وقال :
- هل وصلك إشعار ؟
- نعم، وفى الحال بعث بعزائى إلى تلميذك، فهو الذى أخبرنى، ولكنه لم يخبرنى إلا بالتر القليل .
- ولقد هممت أن أكتب لك لأسألك بعض التفاصيل .
- كان يجب أن تفعل ذلك .
- فأضفت ضاحكا :
- لقد تصورت أنك قد لا ترحب باطلاعى على شىء .
- ولكنه كان يبدو أقل تكتما مما كان أيام الكارفورش، وبدا عليه الاستعداد للكلام :
- هل تصدق أن كل ما يجرى هناك الآن يبعث على الأسى والحزن ؟ إن جميع الممرات سوف تمر بنفس المحنة .

ولكننى لم أدرك قصده من أول وهله، إلا أننى تذكرت عبارة "كازيمير" عندما قال لى : إننى أعاون فى تحطيم الأشجار . . فسألته فى سداجة :

- ولماذا يفعلون ذلك ؟

- لماذا ؟ أه ياسيدى الطيب . إذن سل عن ذلك الداءين، ثم رن الأمر لا يعنيه، بل إن كل شىء يجرى بلا علمهم، إن الضيعة غارقة فى الديون والأنسة سانت أوربول تسلب ما وسعها سلبه .

- وهل هى هناك ؟

- كأنك لا تدرى !

- لقد اتتجت ذلك فقط من بعض عبارات من ...

- لقد ساءت الأمور منذ وصلت هى .

وصمت لحظة، ولكن لم يستطع أن يقاوم حاجته إلى الكلام فى هذه المرة، بل نه لم يعد يستمع إلى أسئلتى . ووجدت أن، من الأفضل ألا أوجه إليه سؤالاً : فاستطرد يقول :

- كيف علمت هى بشلل والدتها ؟ هذا ما لم أستطع له تفسيراً . عندما علمت أن البارونة العجوز لم تعد تستطيع أن تفارق كرسيتها، حضرت بمتاعها، ولم تجرؤ مدام فلوش على طردها، وعندئذ رحلت أنا .

- من المؤسف أنك تخليت عن « كازيمير » بهذه الطريقة .

- هذا جائز، ولكن مكاني ليس إلى جوار هذه المخلوقة . . . لقد فاتني أنك كنت تدافع عنها .

- وقد أدافع عنها أيضا لو كان ثمة مجال لذلك، يا سيدى الخورى .

- كما تحب . نعم، نعم، فالآنسة فيردور أيضا كانت تدافع عنها، ولقد ظلت تدافع عنها حتى رأت سيديها على فراش الموت .

وراقنى أن القس قد تخلى تقريبا عن ذلك التأنق فى اللفظ الذى كان يتوخاه فى الكارفورش، فقد أصبح يستخدم من الإيماءات والألفاظ ما يميز خوريا فى قرية نورماندية، واستأنف حديثه قائلا :

- وهى أيضا وجدت أن من الغريب أن يموت الاثنان فى وقت واحد .

- هل . . ؟

- أنا لا أزعم شيئا .

ونفخ شفته العليا كعادته القديمة، ولكنه عاد يقول :

- لا يمنع أنهم فى البلدة بدءوا يتندرون، وسؤوهم أن ترث الفتاة خالتها، وقد رأيت بنفسك أن الآنسة فيردور قد آثرت الرحيل .

- ومن بقى إلى جوار كازيمير .

- آه ! لقد أدركت مع كل أن أمه لا تصلح له معشرا حسنا ! إنه يقى كل وقته عند آل « شوانتروى » أقصد البستانى وزوجه .

- « جراسيان » ؟

- أجل . « جراسيان » ، الذى عارض فى تحطيم أشجار الحديقة ،
إلا أنه لم يستطع أن يمتع شيئاً . إنها المأساة .

- ومع كل ، فلم يكن آك فلوش معدمين .

- ولكن كل شئ سلب منذ أول يوم ، ياسيدى العزيز . لقد كانت
مدام فلوش تمتلك مزرعتين من المزارع الثلاث التى تتألف منها
الكارفورش فبيعت هاتان المزرعتان منذ زمن بعيد للمزارعين ، أما
المزرعة الثالثة فهى أيضا من أملاك البارونة ، ولكنها لم تعد تؤجرها
للفلاحين ، فقد كان « جراسيان » يشرف على محصولها ، ولكنها
سرعان ما ستعرض للبيع مع الباقي .

- الكارفورش ستعرض للبيع ؟

- بالمزاد ، ولكن هذا لن يتم قبل نهاية الصيف ، وصدقتى أن
الآنسة تستفيد من هذا الوضع حتى يحين البيع ، وستبذل فى سبيل
ذلك قسارى وسعها ، فعندما يتم نزع نصف الأشجار .

- وكيف يتقدم أحد لشرائها منها ، وهى لا تملك حق بيعها ؟

- آه ! إنك لا تزال شابا حدث السن . عندما تعرض السلعة بثمن
زهيد ، فإنها دائما تجد من يشتريها .

- إن أقل محضر يمكن أن يحول دون ذلك .

- إن المحضر متفاهم مع مدير أعمال الدائنين الذى أقام فى
الكارفورش .

- وما لى اذنى : وما دمت تريد أن تعلم كل شىء فاعلم أنه
ينام معها . فسألته ، دون أن أظهر تأثيراً لعبارته الأخيرة :

- وكتب السيد فلواش وأوراقه ؟

- سيعرض أثاث القصر مع المكتبة للبيع قريباً ، أو بمعنى أصح ،
سيوقع عليها الحجز ، ولحسن الحظ فإن أحدا لا يدرك قيمة بعض
المؤلفات والا لا اختفت منذ زمن بعيد .

- قد يظهر أفاق على حين فجأة .

- لقد وضعت الأختام الآن ، فلا تخش شيئاً ، فلن تُرفع إلا عند
الجرد .

- وما قول البارونة فى هذا كله ؟

- إنها لا تدرك شيئاً ، فهم يقدمون لها الطعام فى حجرتها ، وهى
لا تعرف حتى أن ابنتها موجودة فى القصر .

- وماذا عن البارون ؟

- لقد مات منذ ثلاث أسابيع ، فى « كاين » فى ملجأ كنا قد وفقنا
فى أن يقبل فيه .

كنا قد بلغنا « بون ليفيك » ، فأقبل كاهن للقاء القس « سانتال »
الذى استأذن منى بعد أن دلنى على فندق ورجل يؤجر العربات .

وأوصلتنى العربة التى استأجرتها فى اليوم التالى حتى مدخل
حديقة الكارفورش ، واتفقت مع صاحب العربة على أن يرجع بعد

ساعتين ليعود بى . بعد أن تكون الجياد قد استراحت فى حظيرة
إحدى المزارع .

وألقيت باب الحديقة مفتوحا على سعته، وكانت أرض الممر قد
تلقت بفعل عربات النقل، وتوقعت أن أشاهد أبشع مظهر للدمار
والتخريب، فقوجئت، وكانت مفاجأة سارة، إذ شاهدت عند المدخل
« شجرة الزان ذات أوراق الخوخ » وقد نبتت براعكها، ولم أفكر أنها
لا تدين بحياتها إلا لحقارة خشابها، وبينما كنت أتقدم، وجدت أن
الفأس قد أتت على أجمل الأشجار، وقبل أن أخوض فى جوانب
الحديقة، أردت أن أزور الدار الصغيرة التى اكتشفت فيها رسالة
إيزابيل، ولكننى وجدت مكان مزلاجها المحطم قفلا مغلقا .
(وعلمت فيما بعد أن الخطابين يكسدسون فى هذه الدار أدواتهم
وملابسهم) ومضيت فى طريقى متجها إلى القصر، وكان الطريق
الذى أسلكه مستقيما تحف به أشجار العوسج المنخفضة، ولم يكد
يؤدى إلى وجهة القصر، وإنما كان يفضى إلى جناح المرافق وينتهى إلى
المطبخ الذى كان يطل على باب بستان الخضراوات، وكنت لم أزل بعد
بعيدا عن ذلك الباب عندما شاهدت جراسيان يخرج منه حاملا سلة
من الخضروات، فلمحنى، ولكنه لم يتعرف على من أول وهلة،
فناديته فأقبل نحوى وبادرنى قائلا :

- آه ! السيد لاكاز ! حقا ما كان أحد يتوقع أن يراك فى مثل هذه
الساعة . ولبث يتطلع إلى وهو يهز رأسه، لم يخف ضيقه من
حضورى، إلا أنه أضاف فى لهجة أكثر رقة .

- ومع كل فسيّر الغلام لرؤيتك .

كنا قد سرنا بضع خطوات نحو المطبخ دون كلام، فأشار لى بأن أنتظره، ودخل ليضع سلته، ثم عاد وقال فى لهجة أكثر حفاوة :

- جت إذن لترى سير الأمور فى الكارفورش .

- ويبدو أنها ليست على خير ما يرام ؟

ونظرت إليه فإذا بذقنه يرتجف - ولبت ممسكا عن الإجابة، وعلى حين فجأة جذبني من ذراعى واقتادني إلى العشب الذى كان يمتد أمام درج حجرة الاستقبال، حيث كانت ترقد جثة شجرة زان ضخمة أذكر أننى احتमित تحتها من المطر فى الخريف، وكان من حولها أكداس وحزم من أغصانها كانت قد نرعت عنها قبل اقتلاعها . فقال لى :

- هل تعلم كم تساوى شجرة كهذه ؟ اثنتى عشرة بستولة^(١) وهل تعلم بكم بيعت ؟ لقد بيعت هى وأمثالها بمائة « سو » .

لم أكن أعلم أنهم فى تلك البلدة يطلقون لفظة بستولة على قطعة النقود فئة العشرة فرنكات، ولكن لم يكن ذلك وقت الاستفسار والاستيضاح . كان جراسيان يتكلم بصوت مخنوق، والتفت إليه فإذا به يمرر ظهر يده على وجهه فيمسح دموعا أو عرقا، ثم ضم قبضتيه وقال :

(١) البستولة تساوى مائتى « سو » .

-أوه ! ياللصوص ! ياللصوص . . عندما أسمعهم يضربون بسواطيرهم وفؤوسهم أشعر بالجنون، إن ضرباتهم تنهال فوق أو رأسي، فأشعر بالرغبة فى أن أصبح : النجدة ! اللص ! إننى أشعر بالرغبة فى القتل، وأول أمس أمضيت نصف النهار داخل القبو، فكان الصوت يصلنى ضعيفا . . وفى بادئ الأمر، وجد الغلام فى عمل الخطابين شيئاً من اللهو والتسلية، وعندما كانت الشجرة تشرف على السقوط، كانوا ينادونه ليشد الحبل معهم، ولكن عندما اقترب هؤلاء الأفاقون من القصر وهم يواصلون اقتلاع الأشجار، بدأ الطفل يشعر بأن الأمر لم يعد مدعاة للتسلية، وإذا به يخاطبهم قائلاً : « آه ! دعوا تلك » فقلت له : يا صغيرى المسكين، حتى لو تركوها فلن تكون لك هى أو غيرها « بل لقد أخبرته بأنه لن يستطيع البقاء فى الكارفورش، ولكنه صغير لا يفهم أنهم سلبوه كل شىء. لو أبقونا فى المزرعة لما توانيت عن أخذه معنا هناك، ولكن أحدا لا يدرى من سيشتريها، ومن سيكون الوغد الذى سيحتل مكاننا فيها . . وكما ترى يا سيدى فأنا بعد لست عجوزاً، ولكننى كنت أفضل أن أموت قبل أن أرى هذا كله .

- من يقيم فى القصر الآن ؟

إننى لا أريد أن أعرف ذلك . إن الصغير يتناول طعامه معنا فى المطبخ، فهذا خير له .

والبارونة لم تعد تفارق حجرتها، وهذا لحسن حظها المسكينة « وديلفين » هى التى تحمل إليها وجباتها عن طريق سلم الخدم حتى

تتجنب مقابلة من لا تحب ، أما الآخرون فلديهم من يقوم على خدمتهم ونحن لا نتحدث معهم .

- أليس من المفروض أن يوقع حجز على الأثاث فى القريب ؟
- عندئذ سنحاول أن نصطحب سيدتى البارونة إلى المزرعة ، فى انتظار أن تعرض للبيع مع القصر .

فسألته مترددا لأننى لم أكن أدرى كيف أدعوها :

- والآنسة .. وابتتها ؟

- بوسعها أن تذهب حيث شاءت ، بعيدا عنا . إن كل ما يحدث إنما هو بسببها .

كان صوته يرتجف من شدة الغضب بحيث أدركت عندئذ كيف أن هذا الرجل استطاع أن يذهب إلى حد ارتكاب الجريمة للذود عن شرف سادته .

- أهى الان فى القصر ؟

- فى مثل هذه الساعة ، لابدّ وأنها تستنزّه فى الحديقة ، ويبدو أن ما يحدث لا يسوّؤها ، فهى تتطلع إلى الخطابين ، بل وفى بعض الأيام تتحدث معهم ، بلا حياء ولكن عندما تمطر السماء فإنها لا تفارق حجرتها . انظر ، ها هى حجرتها ، تلك التى تمثل الزاوية . إنها تقف لصق زجاج النافذة وتتطلع إلى الحديقة . لو لم يكن رجلها فى «ليزبو» منذ ربع ساعة ، لما وجدتنى فى الخارج ! آه ! هذه هى المدنية

يا سيد لاكاز . لو قدر لسادتي المساكين أن يعودوا ليروا ما يحدث فى
عقر دارهم، لأسرعوا بالعودة إلى مثوالم .

- وهل كازيمير هنا ؟

- أظن أنه يتنزه أيضا فى الحديقة . هل تريد أن أستدعيه ؟

- كلا، سأعرف كيف أعثر عليه بنفسى . إلى اللقاء قريبا .

سأعود لرؤيتك طبعاً أنت « وديلفين » قبل أن أرحل .

كان الدمار الذى أحدثه الخطابون يبدو فى أبشع صورة فى ذلك
الوقت من العام، حيث يتهياً كل شىء يبعث من جديد، وفى ذلك
الجو الفاتر، كانت أفنان الأشجار تمتلى وتتنفخ وتنبت فيها البراعم،
وكان كل غصن فصل عن شجرته يبكى عصارتة . كنت أتقدم فى
خطى وثيدة وأنا مكتئب من نفسى، وكان يزيد من اكتابى ما كان
يبعثه المنظر حولى من ألم، وربما كنت ثملا من شدة الأريج النباتى
الذى كان يخرج من الشجر المحتضر، وبطن الأرض وهى تعمل،
وكان ما يمثله ذلك التعارض بين تلك الأشلاء من الموتى وبين الربيع
الوليد لا يكاد يؤثر فى نفسى، وهكذا تكشفت الحديقة وفتحت
ذراعها للنور الذى يدا يغمرها ويصبغ ما فيها من موت وحياة بلونه
الذهبى، ومع ذلك فقد كانت دقات قلبى السعيدة تصاحب النغمات
الحزينة التى كانت تأتىنى من بعيد صادرة عن الفؤوس التى كان صداها
الجنائزى يملأ الأرجاء، وكانت الرسالة القديمة التى حملتها معى والتى
آليت على نفسى ألا أستفيد منها، مع أننى فى بعض الأحيان كنت
أضمها إلى قلبى، كانت هذه الرسالة تلهب قلبى وتضرم فيه النار، وكنت

أحدث نفسى قائلاً : لا شئ يستطيع أن يعترض اليوم سبيلى،
وابتسمت عندما شعرت أننى أسرع الخطى لمجرد التفكير فى « إيزابيل
»، ولم أكن فى ذلك مدفوعاً بإرادتى، وإنما كانت هناك قوة داخلية
تدفعنى إلى ذلك .

وعجبت أن ما فى الدمار من وحشية قد زاد بهاء الطبيعة فى عيني ،
وعجبت كيف أن اغتياب القس أو ذمة لإيزابيل لم ينجح فى عزلى
عنها ، وأن كل ما كنت أكتشفه فيها يلهب شوقى إليها . . وماذا
يا ترى لا يزال يربطها بهذه الأماكن التى تفيض « ذكريات » بغيضة ؟
كنت أعرف أنه ما من شئ سيبقى لها من الكارفورش عندما تباع
ولن يبلغها منها عائد، فلماذا لم تلذ بالفرار ؟ وصور لى خيالى أن
أقوم باختطافها ذلك المساء فى عربتى، فأسرعت خطاى، بل لقد كنت
أجرى تقريبا عندما فوجئت بها على بعد مسافة منى . كانت هى،
بلا ريب، فى ثياب الحداد عارية الرأس، جالسة فوق جذع شجرة
محطمة تعترض الممر، فدق قلبى شديدا بحيث اضطرت إلى التوقف
بعض الوقت، ثم تقدمت فى اتجاهها بطئ الخطو، هادئا كمتنزه
لا يعبأ لشئ ، وما أن بلغت حتى سألتها :

- معذرة ياسيدتى . . أنا الآن فى الكارفورش، أليس كذلك ؟

- كان يوجد إلى جوارها فوق جذع الشجرة سلة لشغل الإبرة
مليئة ببكرات الخيط وأدوات الحياكة، وقطع من القماش الكريب
ملفوفة على بعضها أو منكوشة، وكانت منصرفة إلى تثبيت أجزاء من
هذا القماش فوق غطاء متواضع للرأس مصنوع من اللباد كانت تمسكه

بيدها ، ورأيت على الزرض شريطا أخضر يبدو أنها نزعته عن غطاء الرأس منذ قليل ، وكانت تتدثر بمعطف صغير أسود يغطي كتفيها ، وعندما رفعت هامتها أبصرت الإبزيم المتبدل الذى كانت تغلق به ياقة المعطف - ولا أشك فى أنها قد لمحتنى من بعيد ، لأن صوتى لم يفاجئها .

- هل جئت تشتري الضيعة ؟

قالتها بصوتها الذى تعرفت عليه ، فدق له قلبى .

كم كان جبينها المكشوف جميلا !

- أوه ! بل جئت مجرد زائر . كانت الأبواب الحديدية مفتوحة ورأيت أناسا يجولون ولكننى قد أكون متطفلا إذ دخلت ؟

- كل من يريد الدخول ، يستطيع أن يدخل الآن .

وأطلقت زفرة عميقة ، لكنها عادت إلى عملها ، كأنما لم يعد بيننا ما يقال .

ولما لم أكن أدرى كيف أواصل حديثا قد يكون الوحيد بينى وبينها ، فكان يجب أن يكون قاطعا باتا ، حديثا بدا لى أن الوقت لم يحن بعد للخوض فيه ، فقد كنت أنوى أن أحتاط له قبل طرقة ، ولما كان عقلى وعاطفتى قد فاضا بالانتظار والأسئلة التى كنت لا أجرؤ بعد توجيئها ، عندئذ مكثت أمامها ، أذفع بطرف عصاى شظايا الخشب وأنا مرتبك بين قحة شديدة وسذاجة مفرطة ، فى نفس الوقت ، حتى أنها رفعت بصرها وتفرست فى وجهى فظننت أنها

ستنفجر ضاحكة، إلا أنها قالت لى بكل بساطة، وربما لأننى كنت ألبس قبعة رخيصة أعطى بها شعرى الطويل، ولم يكن يبدو أن ثمة عملا فعليا يستعجلنى.

- هل أنت فنان؟

فأجبت مبتسما.

- للأسف، كلا! ولكننى رغم ذلك أتذوق الشعر.

ودون أن أجرؤ على التطلع إليها، شعرت أن نظرتها تطوقنى، وأن ما دار بيننا من حديث مناقق مبتذل بغيض إلى نفسى، وأننى أتألم إذ أنقله، لقد استأنفت حديثى قائلا:

- كم هى جميلة هذه الحديقة!

ولاح لى أنها لا تريد إلا أن تتحدث، ولم يكن يحيرها مثلى، إلا كيف الخوض فى المناقشة، فقد صرحت بأننى لا أستطيع الان للأسف أن أتصور ما يمكن أن تصبح عليه الحديقة فى فصل الخريف، فهى لا تزال بمنأى عن الشتاء وبرده، كذلك لا أستطيع أن أتنبأ بما سيتبقى منها بعد هذا العمل الرهيب الذى ينزله بها الحصابون، فصحت قائلا:

- ألا يمكن منعهم؟

فردت ساخرة وهى ترفع كتفها عاليا:

- منعهم!

وظننت أنها ترينى قبعتها البائسة من اللباد كشاهد عى رقة حالها،
إلا أنها رفعتها لتضعها فوق رأسها مطروحة إلى الوراى كاشفة عن
جبينها، ثم شرعت فى ترتيب قطع القماش الكريب كأنما تتهياً
للإنصراف، فانحنيت عند قدميها والتقطت الشريط الأخضر
وقدمته لها.

فقال دون أن تأخذه:

- ماذا أصنع به الآن؟ إنك ترى أننى فى ثياب الحداد.

وعلى الفور، عبرت لها عن الحزن الذى شعرت به عندما علمت
ب وفاة السيد فلوش وزوجه و وفاة البارون بعد ذلك، ولما أبدت دهشتها
لمعرفتى أهلها، أخبرتها أننى عشت بينهم اثنى عشر يوماً من شهر
أكتوبر الماضى.

فعقبت فى الحال قائلة:

- فلماذا زعمت منذ قليل أنك لا تعرف أين أنت؟

- لم أكن أدرى كيف أبدأ الحديث معك.

ودون أن أسرف فى الكشف لها عما فى نفسى، شرعت أحدثها
عن الفضول الشديد الذى استبقانى فى الكارفورش يوماً بعد يوم، أملاً
فى لقائها (لأننى لم أحدثها عن تلك الليلة التى تطلت عليها فيها)
ثم حدثتها عن أسفى لعودتى إلى باريس دون أن أراها:

- وما مبعث كل هذه الرغبة فى معرفتى؟

ولم تعد تتظاهر بالانصراف، وكنت قد جذبت حزمة ضخمة من الخشب وضعتها أمامها قريبا منها، وجلست عليها، ولما كان وضعي منخفضا عنها، كنت أرفع بصري لأراها، وكانت هي منصرفة بطريقة صبيانية إلى لف شرائط الكريب فلم أعد أحظى بنظرتها، وحدثتها عن صورتها وأبدت قلقى لما يمكن أن تصير إليه هذه الصورة التي كنت بها مغرما، ولكنها لم تدر من أمر ذلك شيئا، وأضافت وهي تطلق ضحكة تأملت لجفافها :

- ربما يعثرون عليها عندما يرفعون الأختام. . ثم تعرض للبيع مع غيرها، وتستطيع أن تحصل عليها نظير بضعة نقود، إذا كان قلبك لا يزال متعلقا بها. وأعربت لها عن أسفى إذ أراها لا تأخذ شعورى نحوها مأخذ الجدد، وأوضحت لها أننى إذا كنت قد فاجأتها بالتعبير عنه، فرنه يشغل بالى منذ أمد طويل. إلا أنها ظلت جامدة كأنما قررت ألا تسمع بعد ذلك شيئا منى. كان الوقت يمضى سريعا ألم يكن معى ما أقطع به صمتها ؟ كانت الرسالة الملتهبة تنتفض بين أصابعى.

وكنت قد أعددت قصة اختلقتها عن علاقات قديمة بين عائلتى وعائلة "جونفريفيل" هادفا من وراء ذلك إلى حملها على الكلام فى معرض الحديث، ولكننى فى تلك اللحظة لم أشعر إلا بسخافة هذه الكذبة، وشرعت أروى لها قصة المصادفة الغريبة التى أوقعت هذه الرسالة فى يدي، وناولتها الرسالة قائلا:

- آه! أتوسل إليك ياسيدتى، لا تمزقنى هذه الرسالة! رديها إلى..

كان وجهها قد شحب شحوب الأموات، ولبثت لحظة دون أن تقرأ الرسالة المفتوحة فوق ركبتيها، وغامت نظرتها، ورجفت أهدابها، وإذا بها تهمهم قائلة:

- نسيت أن أستردها! كيف نسيتها؟

- ربما ظننت أنها وصلته، أو أنه حضر لأخذها..

كانت لا تزال منصرفه عنى لا تعيرنى سمعا، وأتيت حركة لاسترداد الرسالة، ولكنها أساءت تفسير حركتى، فصاحت بى قائلة وهى تدفع يدي فى خشونة.

- دعنى!

ونفضت تريد الفرار، فجثوت أمامها أستبقياها:

- لا تخافى منى ياسيدتى، فإننى، كما تريدن، لا أريد بك سوءا، وعندما عادت إلى الجلوس أو بالأحرى عندما انهارت خائرة القوى، توصلت إليها ألا تسخط على أن كانت المصادفة قد اختارتنى لأكون أمينا لسرها على الرغم منى، ولكننى توصلت إليها أن تبقى على هذه الثقة التى أقسمت ألا أخونها ما حييت. آه! لماذا لا تحدثنى كصديق حميم لا يعرف من أمرها إلا ما أطلعتنى عليه بنفسها؟ وربما قنعتها عبراتى التى ذرفتها أكثر مما أقنعها حديثى. وعدت أقول: وا أسفاه! إننى أعلم الميثة الفظيعة التى سلبتك حبيبك فى تلك الليلة.. ولكن كيف بلغك هذا الخبر المشؤوم؟ وماذا صور لك خيالك فى تلك الليلة وأنت عاكفة على انتظاره، مستعدة للفرار معه؟ وماذا صنعت عندما

وجدت أنه لا يظهر؟

فقلت في صوت حزين:

- مادمت تحيط علما بكل شيء، فأنت تعرف طبعاً أنني لم أكن أنتظره، بعد أن أخبرت جراسيان.

وفجأة تجلت الحقيقة في أبشع صورها، بحيث لم أستطع أن أمسك نفسي عن الصياح:

- ماذا؟ أنت التي أوعزت بقتله؟

عندئذ هوت منها الرسالة والسلة على الأرض، وتناثر ما كان فيها من أشياء وأخذت جبينها بين يديها، وشرعت تجهش بالبكاء في غير وعى، فملت عليها وحاولت أن أتناول إحدى يديها بين يدي فصدتني قائلة:

- كلا، أنت جاحد قاس.

كانت صيحتي الهوجاء قد أتت على اطمئنانها من ناحيتي، فقطبت جبينها وعبست في وجهي، وكنت لا أزال جالسا أمامها وقد عقدت العزم على ألا أفارقها قبل أن تصرح لي بأكثر مما عرفت، وأخيراً هدأ نشيجها، فأقنعتها في هدوء أنها أفاضت في الكلام بحيث لا تستطيع أن تمسك عنه دون إيذاء، وأنها لو أفضت لي باعتراف صادق، فلن يقلل ذلك من شأنها في نظري، وأنه لا يحز في نفسي أكثر من لزومها الصمت، فأسندت مرفقيها على ركبتيها، وحجبت جبينها بيديها المشبوكتين، وقصت على الآتي:

كانت قد كتبت هذه الرسالة في الليلة السابقة لليلة التي قررت فيها الهروب، كتبتها في غمار لوعة الغرام التي تملكها تلك الليلة، وفي الصباح حملتها إلى الدار ودستها في ذلك المكان السرى الذي كان يعرفه "بليز جونفريفيل" وكانت تعلم أنه سرعان ما سيأتي لأخذها، ولكنها ما أن عادت إلى القصر، ووجدت نفسها في تلك الحجرة التي كانت تريد أن تغادرها إلى الأبد، تملكها ضيق يرقى عن الوصف، وخوف من تلك الحرية المجهولة التي طالما تلهفت عليها، والخوف من ذلك العاشق الذي كانت لا تزال تتوق إليه، والخوف من نفسها ومما كانت تخشى الإقدام عليه. أجل، كانت قد اتخذت قرارها، أجل وصرفت عنها كل ريبة أو شك، وارتضت أن تجرع العار، ولكنها ما أن وجدت أنه ليس هناك ما يقيدنها ويحول بينها وبين الباب المفتوح للفرار، ضعفت ولم يطاوعها قلبها، وباتت فكرة الفرار بغیضة إلى نفسها لا تطيقها، فأسرعت وأبلغت "جراسيان" أن البارون "جونفريفيل" قد عقد العزم على اختطافها من أهلها هذه الليلة نفسها، وأنه قد يعثر عليه وهو يحوم قبل المساء على مقربة من الدار، فيجب منعه من الاقتراب، فعجبت لأنها لم تذهب لتحضر بنفسها الرسالة وتستبدلها بغيرها تصد بها عشيقها عن مشروعه الجنوني، ولكنها كانت لا تفتأ تهرب من أسئلتى، وجعلت تردد وهى تبكى أنها تعلم تماما أننى لا يمكن أن أفهمها وأنها لا تستطيع أن تفسر خيرا من ذلك، ولكنها فى ذلك الوقت كانت تشعر أنها عاجزة عن صد عشيقها عاجزة عن اللحاق به، فقد كان الخوف قد شل حركتها بحيث أصبح رجوعها إلى الدار أمرا فوق طاقتها، أضف إلى ذلك، أنها فى

تلك الساعة من النهار، كان أبواها الرهيبان يراقبانها، ولهذا فإنها اضطرت للجوء إلى « جراسيان » .

- أكان بوسعى أن أقدر أن « جراسيان » سيأخذ مأخذ الجد ذلك الكلام الذى فلت منى فى غمرة هذيانى ؟ لقد تصورت أنه سيكتفى بإبعاده، ولقد انتفضت فزعا عندما سمعت بعد ساعة طلقا ناريا قرب الباب الحديدى، إلا أن تفكيرى تحول عن الاحتمال الرهيب الذى لم أقبل أن أتصوره، بل على العكس، فبعد أن أخبرت « جراسيان » هدا فكرى وقلبى وأصبحت أشعر بالابتهاج . . ولكن عندما حل الليل، واقتربت الساعة التى كان من المفروض أن تكون موعدا لفرارى، آه ! وجدتنى أنتظر على الرغم منى، وبدأ الأمل يداعبنى، ويمتزج بيأسى نوع من الاطمئنان، الاطمئنان الذى كنت أعلم تماما أنه كاذب . لم أكن أستطيع أن أتصور أن جبن لحظة أو انهيار ساعة يمكن أن يقضى دفعة واحدة على حلمى الطويل، فلم أكن بعد قد أفقت من حلمى، وإذا بى، وكأنى فى حلم، أنزل إلى الحديقة أرصد كل صوت، وأترصد كل شبح، فقد كنت لا أزال أنتظر .

وشرعت تبكى من جديد، ثم استطرقت تقول :

- كلا لم أعد أنتظر، بل كنت أحاول خداع نفسى، فكنت أتشبه بمن تنتظر شفقة بنفسى . كنت قد جلست أمام الخضرة، فوق أسفل درجات الشرفة، وقد يبس القلب بحيث لم أكن أقوى على ذرف دمعة، ووجدتنى أفكر فى شىء، بل لا أدرى حتى من أكون، ولا أين كنت، ولا ما جئت من أجله، وغاب القمر الذى كان منذ قليل يغمر

بنوره، فانتابتنى رعدة، فتمنيت أن تكون رعدة الموت . طلع النهار،
فإذا بي فريسة مرض خطير، واستدعى الطبيب كاشف أمى
بأمر حملى .

وتوقفت لحظات، ثم عادت تقول :

- لقد عرفت الآن ما كنت ترغب فى معرفته، ولو أتمت قصتى
فستجدها قصة امرأة أخرى غير « إيزابيل » التى طالعتها فى الصورة .

وبالفعل، فقد أصبح من العسير على أن أتعرف فيها على تلك
الإنسانة التى سلبت خيالى . صحيح أنها كانت تقطع حديثها من آن
لآن بالأنين والشكوى حاملة على القدر، وكانت تشكو من أن الشعر
والعاطفة دائما على خطأ فى هذا العالم، إلا إننى كنت أشعر بالأسف
لأننى لم أتبين فى صوتها الحزين تلك الحرارة اللطيفة التى تصدر عن
القلب . لا آسف إلا عليها ! عجبا ! أو هكذا تصورت الحب ؟

وإذا بي ألتقط الأشياء التى تناثرت من السلة المنقلبة فوق الأرض،
ولم أعد أشعر برغبة فى زيادة الاستفسار، ووجدتنى فجأة لا أكثرث
بشخصيتها ولا بحياتها، ومكثت أمامها أشبه بسلام أمام لعبة حطمها
ليكشف عن سرها، بل إن الفتنة الجسدية التى كانت لا تزال تتمتع
بها، لم تحرك منى ساكنا، ولا خفق أهدابها المثير الذى كنت منذ قليل
أنتفض له أهاجنى . كنا نتحدث عن رقة حالها وعوزها، فسألته عما
تنوى عمله فأجابت :

- سأسعى إلى إعطاء دروس خصوصية في العزف، أو الغناء،
فلدى طريقة عظيمة .

- آه ! أنت تغنين ؟

- أجل، وأعزف . لقد درست كثيرا فيما مضى، وكنت تلميذة
« لتاليرج » وكذلك فإنى أحب الشعر كثيرا .

ولما لم أجد ما أقوله لها، أضافت تقول :

- إننى على ثقة من أنك تحفظ بعض الشعر عن ظهر قلب ! ألا
تحب أن تسمعنى شيئا منه ؟

إلا أن النفور، والاشمئزاز من هذا الابتذال الشعرى كان قد أنجز
على طرد كل أثر للحب من نفسى، فنهضت لاستأذنها فى الانصراف
فقالت :

- عجبا ! أتصرف بهذه السرعة ؟

- للأسف ! إنك مثلى تشعرين أن من الأفضل الان أن أنصرف .
تصورى أننى ذات يوم من أيام الخريف الماضى، كنت بين قومك ،
وإذا بحرارة الجو فى الكارفورش تجعلنى أستسلم للنوم وأرى فى منامى
حلما لم أستيقظ منه إلا منذ لحظة ، فوداعا .

وظهر عند طرف الممر المنعطف شىء صغير يعرج .

- أظن أنى الملح « كاريمير » الذى يسير للقائى .

- إنه قادم، فانتظر .

كان الغلام يقترب فى وثبات قصيرة، وكان يحمل فوق كتفه
مجرافا .

- اسمحى لى أن أذهب للقاءه، فقد يحرص إن لقينى معك .

معذرة . .

وعجلت بوداعى بطريقة خرقاء، فحييتها فى أدب وانصرفت .

ولم أر إيزابيل سانت أوريول بعد ذلك، ولم أعلم عنها شيئاً .
بلى، فعندما عدت إلى الكارفورش فى الخريف التالى، أخبرنى «
جراسيان » بأنها هربت مع حوذى، وذلك عشية الحجز على أثار
القصر، وبعد أن هجرها مدير الأعمال .

- ثم أضاف كمن يلقى حكمة :

- وكما ترى ياسيدى « لاكار »، لم تستطع أن تبقى وحدها، كان

لا بد لها دائماً من عاشق .

وبيعت مكتبة الكارفورش فى منتصف الصيف، وعلى الرغم من
التعليمات للإشراف أوصيت بها، لم أعلم بذلك، وأعتقد أن صاحب
مكتبة « كان » الذى ندب للإشراف على عملية البيع، لم يهتم
بدعوتى كما لم يهتم بدعوة أى من هواة الكتب الجادين، وكم كان
اندهاشى وسخطى عندما علمت فيما بعد أن نسخة التوراة الشهيرة قد
بيعت بسبعين فرنكاً لبائع كتب قديمة فى البلدة، ثم سرعان ما باعها
هذا بثلاثمائة فرنك، ولم أعرف المشتري الجديد .

أما عن مخطوطات القرن السابع عشر، فلم يأت ذكرها حتى فى
كشف المبيعات، واعتبرت أوراقاً قديمة .

كنت أريد على الأقل أن أحضر عملية بيع الأثاث، فقد كنت أنوى أن أشتري بعض الأشياء الصغيرة لتكون ذكرى لآل فلوش، ولكنني أخطرت بعد فوات الوقت، فلم أتمكن من الوصول إلى « بون ليفيك » إلا عندما عرضت المزارع والضيعة للبيع .

وحصل على الكارفورش، مقابل ثمن بخس، تاجر عقارات يدعى « موزرشميدت » الذي كان ينوى تحويل الحديقة إلى مرعى عندما اشتراها منه أحد الهواة الأمريكيين، ولم أدر سبب شرائه لها، لأنه لم يعد إلى البلدة وترك القصر والحديقة على الحل التي رأيتها .

ولما كنت عندئذ قليل الثروة، تصورت أنني لن أحضر عملية البيع إلا مشاهدا ولكنني في صباح ذلك اليوم كنت قد رأيت « كازيمير »، وبينما كنت أسمع المزادات، تملكني ضيق شديد وأنا أفكر في مأساة هذا الغلام، بحيث قررت فجأة أن أومن له حياته في المزرعة التي يتمنى « جراسيان » أن يقيم فيها . ألم تكونا على علم بأنني أصبحت لها مالكا ؟ ودون أن أقدر ما أنا مقدم عليه، وجدتنى أرفع المزاد، كان هذا جنونا منى، ولكن بهجة الغلام التي كانت تبعث الأسى، كانت لى أعظم مكافأة .

وذهبت إلى هذه المزرعة لقضاء عطلة عيد الفصح وعطلة الصيف التالي، وذلك عند جراسيان، حيث كان يقيم « كازيمير »، وكانت مدام سانت أوريول العجوز لا تزال على قيد الحياة، وكنا قد حاولنا قدر استطاعتنا أن نترك لها أحسن حجرة، وكانت من فرط تقدم سنها وما مر بها من أحداث قد رجعت إلى عهد الطفولة، ولكنها مع ذلك

تعرفت علىّ، بل إنها لم تكن قد نسيت اسمي تماما، فعندما رأته
جعلت تردد في بادئ الأمر :

- ما أطف هذا يا سيد « لاس كاز » ما أطف هذا منك !

فقد كانت تعتقد أنني ما جئت إلى البلدة إلا لزيارتها .

وقالت مطمئنة لي كأنما توضح لي أسباب ما آلت إليه من رقة
حال، أو كانت تحاول أن توضحه لنفسها :

- إنهم يقومون ببعض الإصلاحات في القصر، وسيصبح جميلا
للغاية !

ويوم أن عرض الأثاث للبيع، كانوا قد أخرجوها إلى شرفة حجرة
الاستقبال، في كرسيها الكبير ذي المسند، وقدموا لها المحضر على أنه
مهندس معماري شهير حضر خصيصا من باريس ليشرح على
الأعمال التي ستنفذ (كانت تصدق بسهولة كل ما كان يروقه) ثم
قام « جراسيان » و « كازيمير » و « ديلفين » بنقلها إلى تلك الحجرة
التي قُضى عليها ألا تفارقها، مع أنها ظلت تعيش فيها ثلاثة أعوام
أخرى .

وخلال ذلك الصيف الأول الذي أمضيته في مزرعتي، ثم تعارفي
بآل ب . . الذين تزوجت من ابنتهم الكبرى فيما بعد ، ولم تكن
مزرعة « ر » التي آلت إلينا منذ وفاة أهل زوجتي بمنأى عن
الكارفورش : وفي كل عام أعود إليها مرتين أو ثلاث مرات، فأتحدث
مع جراسيان وكازيمير اللذين يقومان بفلاحة أرضهما على خير وجه،

ويسددان لى بانتظام قيمة الإيجار المتواضعة، وعندما تركتكما منذ قليل كنت ذهبت إليهما .

كان الليل قد تقدم بنا عندما ختم « جيرار » قصته، إلا أن « جام » فى تلك الليلة نفسها، وقبل أن ينام ، كتب مرثيته الرابعة التى يقول فيها :

« عندما سألتنى أن أنعى تلك الضيعة المهجورة، حيث الرياح العاتية ... »

تمت

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كرين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادمو باتيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	اتجا كاريتنكوفنا	ت : أحمد الحضرى
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد ملاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إينيتش	ت : سعد مصلوح / ولاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ - مشعلو العرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندروس، جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد مقصم وعبد الجليل الأزبى وعمر حلى
١١ - مختارات	فيسوفا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق العرير	ديفيد براونستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عيد الوهاب طوب
١٤ - التحليل النفسى والأدب	جان ييلمان تويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إنوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يعنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوخة والف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العناني
٢٢ - مذكرات رحالة من المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على التاصرى
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : متى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر اللبيب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادمو باتيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوقاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب طوب
٣٢ - الانتقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هويكتز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب . نيكسون	ت : خليل كلث

٢٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٢٧ - واحة سيرة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٢٨ - نقد الحدائق	ألن تورين	ت : أنور مغيث
٢٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ملجى
٤٢ - عالم ماك	بنجامين باريز	ت : أحمد محمود
٤٣ - اللهب المزدوج	أوكتايفو پات	ت : المهدي أخريف
٤٤ - يعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ - التراث المغفور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا نوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ - الإسلام فى البلقان	ه . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد يرادة وثمانى ليلود ويوسف الأنطكى
٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية	داريو بيانوبيا وخ . م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسى التدعى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجاتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ - ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز آيتين	ت : صبرى محمد عبد الفنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢ - لذة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالتين راسيوتين	ت : أشرف الصياغ
٦٩ - العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج ، تريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

- ٧٢ - السياسي العجوز
٧٣ - نقد استجابة القارئ
٧٤ - صلاح الدين والمالِك في مصر
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية
٧٦ - چاك لاكان وإغراء التطفل النفسي
٧٧ - تاريخ النقد الألبى الحديث ج ٢
٧٨ - العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية
٧٩ - شعرية التأليف
٨٠ - بوشكين عند «تافورة الدموع»
٨١ - الجماعات المتخيلة
٨٢ - مسرح ميغيل
٨٣ - مختارات
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية)
٨٦ - طول الليل
٨٧ - نون والقلم
٨٨ - الابتلاء بالتقرب
٨٩ - الطريق الثالث
٩٠ - وسم السيف (قصص)
٩١ - للمسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح الإسباني
٩٣ - محدثات العولمة
٩٤ - الحب الأول والصحة
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني
٩٦ - ثلاث زبقات ووردة
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)
٩٨ - الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني
٩٩ - تاريخ السينما العالمية
١٠٠ - مساطة العولمة
١٠١ - النص الروائي (تقنيات ومناهج)
١٠٢ - السياسة والتسامح
١٠٣ - قبر ابن عربي يليه آباء
١٠٤ - أويرا ماهوجنى
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع
١٠٦ - الأدب الأندلسي
١٠٧ - مسيرة الفنان في الشعر الأمريكي للناصر
- ت . س . إليوت
چين . ب . توميكنز
ل . ا . سيمينوفا
أنثريه موروا
مجموعة من الكتاب
رينيه ويليك
رونالد روبرتسون
بوريس أوسبنسكى
ألكسندر بوشكين
بندكت أنترسن
ميغيل دى أونامونو
غوتفريد بن
مجموعة من الكتاب
صلاح زكى أقطاي
جمال مير صانقى
جلال آل أحمد
جلال آل أحمد
أنتونى جيدنز
نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
يارير الاسوستكا
كارلوس ميغل
مايك فيذرستون وسكوت لاش
صمويل بيكيت
أنطونيو بويرو بايخو
قصص مختارة
فرنان برودل
نماذج ومقالات
نيشيد روبنسون
بول هيرست وجراهام تومبسون
بيرنار فاليط
عيد الكريم الخطيبى
عيد الوهاب المؤهب
يرتوات بريشت
چيرارچينيت
د . ماريا خيسوس روبييرامتى
نخبة
- ت : فؤاد مجلى
ت : حسن ناظم وعلى حاكم
ت : حسن بيومى
ت : أحمد لرويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونورا أمين
ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
ت : مكارم الغمرى
ت : محمد طارق الشرقاوى
ت : محمود السيد على
ت : خالد المعالى
ت : عبد الحميد شيحة
ت : عيد الرازق بركات
ت : أحمد فتحى يوسف شتا
ت : ماجدة العنانى
ت : إبراهيم السنوقى شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
ت : محمد إبراهيم مبروك
ت : محمد هناء عبد الفتاح
ت : نادية جمال الدين
ت : عيد الوهاب علوب
ت : فوزية العشمارى
ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
ت : إنيوار الخراط
ت : بشير السباعى
ت : أشرف الصباغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحى
ت : رشيد بنحو
ت : عز الدين الكتانى الإدريسي
ت : محمد بنيس
ت : عيد الفقار مكارى
ت : عبد العزيز شبيل
ت : أشرف على دعبر
ت : محمد عبد الله الجعيدى

- ١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي
١٠٩ - حروب المياه
١١٠ - النساء في العالم النامي
١١١ - المرأة والجريمة
١١٢ - الاحتجاج الهادئ
١١٣ - راية التمرد
١١٤ - مسرحيات حساد كونجي وسكان المستنقع
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام
١١٨ - النهضة النسائية في مصر
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط
١٢١ - الليل الصغير في كتاب المرأة العربية
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإتسان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية ومخاطباتها الرواية
١٢٤ - الفجر الكاذب
١٢٥ - التحليل الموسيقي
١٢٦ - فعل القراءة
١٢٧ - إرهاب
١٢٨ - الأدب المقارن
١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)
١٣٢ - ثقافة العولمة
١٣٣ - الخوف من المرايا
١٣٤ - تشريح حضارة
١٣٥ - المختار من نلد ه. س. إلبير (ثلاثة أجزاء)
١٣٦ - فلاحو الباشا
١٣٧ - مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية
١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجمال والعنف
١٣٩ - باريسيفال
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل
١٤٣ - قضايا التنظير في البحث الاجتماعي
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة
- مجموعة من النقاد
جون بولوك وعادل درويش
حسنة بيجوم
قرانسيس هيندسون
أرلين علوي ماكلويد
سادى پلاننت
وول شوينكا
فرجينيا وولف
سينثيا نلسون
ليلي أحمد
بث بارون
أميرة الأزهرى سنيل
ليلي أبو لغد
فاطمة موسى
جوزيف فوجت
نيتل الكسندر وفنادولينا
جون جراي
سيدريك ثورپ ديفي
ثولفانج إيسر
صفاء فتحي
سوزان باسنيت
ماريا نواورس أسيس جاروته
أندريه جوندز فرانك
مجموعة من المؤلفين
مايك فينرستون
طارق على
باري ج. كيمب
ت. س. إليوت
كينيث كونو
جوزيف ماري مواريه
إيقلينا تاروني
ريشارد فاچنر
هربرت ميسن
مجموعة من المؤلفين
أ. م. فورستر
ديريك لايدار
كارلو جولونوني
- ت : محمود على مكي
ت : هاشم أحمد محمد
ت : منى قطان
ت : ريهام حسين إبراهيم
ت : إكرام يوسف
ت : أحمد حسان
ت : نسيم مجلى
ت : سمية رمضان
ت : نهاد أحمد سالم
ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
ت : لميس النقاش
ت : بإشراف/ رؤوف عباس
ت : نخبة من المترجمين
ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
ت : منيرة كروان
ت : أنور محمد إبراهيم
ت : أحمد فؤاد بليغ
ت : سمحه الخولى
ت : عبد الوهاب علوب
ت : بشير السباعي
ت : أميرة حسن نويرة
ت : محمد أبو العطا وآخرون
ت : شوقي جلال
ت : لويس بقطر
ت : عبد الوهاب علوب
ت : طلعت الشايب
ت : أحمد محمود
ت : ماهر شفيق فريد
ت : سحر توفيق
ت : كاميليا صبحي
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : مصطفى ماهر
ت : أمل الجبوري
ت : نعيم عطية
ت : حسن بيومي
ت : عدلى السمرى
ت : سلامة محمد سليمان

ت : أحمد حسان	كارلوس فويقتس	١٤٥ - موت أرتيميو كروث
ت : على عبد الرؤوف البعبي	ميجيل دى ليبس	١٤٦ - الورقة الحمراء
ت : عبد الغفار مكارى	تاتكريد نورست	١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة
ت : على إبراهيم على منوفى	إنريكي أندرسون إمبرت	١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)
ت : أسامة إسبر	عاطف فضول	١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأندونيس
ت: منيرة كروان	روبرت ج. ليعمان	١٥٠ - التجربة الإغريقية
ت : بشير السباعى	فرنان برودل	١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)
ت : محمد محمد الخطابى	نخبة من الكتاب	١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى
ت : فاطمة عبد الله محمود	فيولين فاتويك	١٥٣ - غرام القراءة
ت : خليل كلفت	فيل سايتر	١٥٤ - مدرسة فرانكفورت
ت : أحمد مرسى	نخبة من الشعراء	١٥٥ - الشعر الأمريكى المعاصر
ت : مى التمساني	جى أنبال وآلان وأوليت فيرمو	١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى
ت : عبد العزيز يقوش	النظامى الكنجوى	١٥٧ - خسرو وشيرين
ت : بشير السباعى	فرنان برودل	١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)
ت : إبراهيم قنص	ديفيد هوكس	١٥٩ - الإيديولوجية
ت : حسين بيومى	بول إيرليش	١٦٠ - آلة الطبيعة
ت : زيدان عبد الحليم زيدان	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	١٦١ - من المسرح الإسباني
ت : صلاح عبد العزيز محبوب	يوحنا الأسبوى	١٦٢ - تاريخ الكنيسة
ت بإشراف : محمد الجوهري	جوردون مارشال	١٦٣ - موسومة علم الاجتماع ج ١
ت : نبيل سعد	جان لاكوتير	١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)
ت : سهير المصادفة	أ . ن أمانا سينا	١٦٥ - حكايات الشعب
ت : محمد محمود أبو غدير	يشعياهو ليتمان	١٦٦ - العلاقات بين الفلبين والعمانيين فى إسرائيل
ت : شكوى محمد عياد	رابندرانات طاغور	١٦٧ - فى عالم طاغور
ت : شكوى محمد عياد	مجموعة من المؤلفين	١٦٨ - دراسات فى الأدب والثقافة
ت : شكوى محمد عياد	مجموعة من المبدعين	١٦٩ - إبداعات أنبية
ت : بسام ياسين رشيد	ميقيل دليبيس	١٧٠ - الطريق
ت : هدى حسين	فرانك بيجو	١٧١ - وضع حد
ت : محمد محمد الخطابى	مختارات	١٧٢ - حجر الشمس
ت : إمام عبد الفتاح إمام	ولتر ت . ستيس	١٧٣ - معنى الجمال
ت : أحمد محمود	ايليس كاشمور	١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء
ت : وجيه سمعان عبد المسيح	لورينزو فيلشس	١٧٥ - التلفزيون فى الحياة اليومية
ت : جلال البنا	توم تيتنبرج	١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية
ت : حصة إبراهيم منيف	هنرى تروايا	١٧٧ - أنطون تشيخوف
ت : محمد حمدى إبراهيم	نخبة من الشعراء	١٧٨ - مختارات من الشعر اليونانى الحديث
ت : إمام عبد الفتاح إمام	أيسوب	١٧٩ - حكايات أيسوب
ت : سليم عبدالامير حمدان	إسماعيل فصيح	١٨٠ - قصة جاويد
ت : محمد يحيى	فتست . ب . ليتش	١٨١ - النقد الأدبى الأمريكى

- ١٨٢ - العنف والنبوة و . ب . بيتس
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما رينيه جيلسون
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام هانز ايندورفر
١٨٥ - أسفار العهد القديم توماس تومسن
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل ميخائيل أنور
١٨٧ - الأرضة بُدْرَجْ علوى
١٨٨ - موت الأدب القين كرنان
١٨٩ - العمى والبصيرة پول دى مان
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس كونفوشيوس
١٩١ - الكلام رأسمال الحاج أبو بكر إمام
١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك زين العابدين المراغى
١٩٣ - عامل المنجم بيتر أبراهامز
١٩٤ - مخترات من نقد الأنطو-أمريكي مجموعة من النقاد
١٩٥ - شقاء ٨٤ إسماعيل فصيح
١٩٦ - المهلة الأخيرة فالتين راسبوتين
١٩٧ - الفاروق شمس العلماء شبلى النعمانى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى إنوين إمري وأخرون
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية يعقوب لاندوى
٢٠٠ - ضحايا التنمية جيرمى سيبروك
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة جوزايا رويس
٢٠٢ - تاريخ النقد الألبى الحديث جء رينيه ويليك
٢٠٢ - الشعر والشاعرية ألطاف حسين حالى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم زلمان شاراز
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات لويجى لوقا كافالى - سفورزا
٢٠٦ - الهيلولية تصنع علماء جديداً جيمس جلايك
٢٠٧ - ليل إفريقي رامون خورتاسنديز
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى دان أوريان
٢٠٩ - السرود والمسرح مجموعة من المؤلفين
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى سنائى الغزنوى
٢١١ - فردينان دوسوسير جونانان كلر
٢١٢ - قصص الأمير مرزيان مرزيان بن رستم بن شروين
٢١٣ - مصر منذ قدم بلبلين حتى رحل جد القاهر ريمون فلور
٢١٤ - قواعد جديدة للفنح لى علم الاجتماع أنتونى جينز
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بيك جء زين العابدين المراغى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم مجموعة من المؤلفين
٢١٧ - مسرحيتان طبيعيتان صمويل بيكيت
٢١٨ - رايولا خوليو كورتازان
- ت : ياسين طه حافظ
ت : فتحي العشرى
ت : يسوقى سعيد
ت : عبد الوهاب علوب
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : علاء منصور
ت : بدر الديب
ت : سعيد الغانمى
ت : محسن سيد فرجاني
ت : مصطفى حجازى السيد
ت : محمود سلامة علاوى
ت : محمد عيد الواحد محمد
ت : ماهر شفيق فريد
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : أشرف الصباغ
ت : جلال السعيد الحفناوى
ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد الطيف حماد
ت : فخرى لبيب
ت : أحمد الأنصارى
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : جلال السعيد الحفناوى
ت : أحمد محمود هويدى
ت : أحمد مستجير
ت : على يوسف على
ت : محمد أبو المطا عبد الرؤوف
ت : محمد أحمد صالح
ت : أشرف الصباغ
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : محمود حمدي عبد الغنى
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : سيد أحمد على الناصرى
ت : محمد محمود محى الدين
ت : محمود سلامة علاوى
ت : أشرف الصباغ
ت : تادية البنهاوى
ت : على إبراهيم على منوفى

ت : طلعت الشايب	كانزو ايشجورود	٢١٩ - بقايا اليوم
ت : على يوسف على	بارى باركر	٢٢٠ - الهيولية فى الكون
ت . رفعت سلام	جريجورى جوزدانييس	٢٢١ - شعرية كفافى
ت : تسييم مجلى	رونالد جراى	٢٢٢ - قرانز كافكا
ت : السيد محمد نقادى	بول فيراينر	٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر
ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد	برانكا ماجاس	٢٢٤ - معار يوغسلافيا
ت : السيد عبد الظاهر عبد الله	جابريل جارثيا ماركث	٢٢٥ - حكاية غريق
ت : طاهر محمد على البربرى	ديفيد هريت لورانس	٢٢٦ - أرض المساء وتصائد أخرى
ت : السيد عبد الظاهر عبد الله	موسى مارديا ديف بوركى	٢٢٧ - المسرح الإيبانى فى القرن السابع عشر
ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن	جانيت وولف	٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
ت : أمير إبراهيم العمري	تورمان كيومان	٢٢٩ - مازق البطل الوحيد
ت : مصطفى إبراهيم فهمى	فرانسواز جاكوب	٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر
ت : جمال أحمد عبد الرحمن	خايمى سالوم بيدال	٢٣١ - الدرافيل
ت : مصطفى إبراهيم فهمى	توم ستينر	٢٣٢ - مابعد المعلومات
ت : طلعت الشايب	أرثر هيرمان	٢٣٣ - فكرة الاضمحلال
ت : فؤاد محمد مكد	ج. سينسر تريمنجهام	٢٣٤ - الإسلام فى السودان
ت : إبراهيم النسوتى شتا	جلال الدين الرومى	٢٣٥ - ديوان شمس تبريزى ج ١
ت : أحمد الطيب	ميشيل تود	٢٣٦ - الولاية
ت : عنايات حسين طلعت	روين قيدين	٢٣٧ - مصر أرض الوادى
ت : ياسر محمد جاد الله وعيسى منبولى أحمد	الانكتاد	٢٣٨ - العولة والتحرير
ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق	جيلرافر - رايوخ	٢٣٩ - العرى فى الأدب الإسرائيلى
ت : صلاح عبد العزيز محمود	كامى حافظ	٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار
ت : ايتسام عبد الله سعيد	ك. م كويتز	٢٤١ - فى انتظار البرابرة
ت : صبرى محمد حسن عبد النبى	وليام إمبسون	٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض
ت : مجموعة من المترجمين	لبنى بروفنسال	٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج ١
ت : نادية جمال الدين محمد	لاورا إسكيبيل	٢٤٤ - الغليان
ت : توفيق على منصور	إليزابيتا أنيس	٢٤٥ - نساء مقاتلات
ت : على إبراهيم على متوفى	جابريل جرتيا ماركث	٢٤٦ - قصص مختارة
ت : محمد الشرقاوى	رولتر أرمبرست	٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر
ت : عبد اللطيف عبد الحكيم	أنطونيو جالا	٢٤٨ - حقول عدن الخضراء
ت : رفعت سلام	دراجو شتامبوك	٢٤٩ - لغة التمزيق
ت : ماجدة أباطة	دومنيك فينك	٢٥٠ - علم اجتماع العلوم
ت : ياشراف : محمد الجوهري	جوردون مارشال	٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢
ت : على بدران	مارجو بدران	٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية
ت : حسن بيومى	ل. أ. سيمينوثا	٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية
ت : إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وجويدى جروفز	٢٥٤ - الفلسفة
ت : إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وجويدى جروفز	٢٥٥ - أفلاطون

- ٢٥٦ - ديكرات
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة
٢٥٨ - الفجر
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمني
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج٢
٢٦١ - رحلة في فكر زكي نجيب محمود
٢٦٢ - مدينة المعجزات
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة
٢٦٥ - روايات مترجمة
٢٦٦ - مدير المدرسة
٢٦٧ - فن الرواية
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزي ج٢
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢
٢٧١ - الحضارة الغربية
٢٧٢ - الأديرة الأثرية في مصر
٢٧٣ - الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط
٢٧٤ - السيدة بريارا
٢٧٥ - س. إبيد شاعرًا وناقدًا وكاتبًا مسرحيًا
٢٧٦ - فنون السينما
٢٧٧ - الجينات : الصراع من أجل الحياة
٢٧٨ - البدايات
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية
٢٨٠ - من الأدب الهندي الحديث والمعاصر
٢٨١ - الفريوس الأعلى
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية
٢٨٣ - السهل يحترق
٢٨٤ - مرقل مجنوناً
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامي
٢٨٦ - رحلة إبراهيم بك ج٢
٢٨٧ - الثقافة والعمل والنظام العالمي
٢٨٨ - الفن الروائي
٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامغاني
٢٩٠ - علم الترجمة واللغة
٢٩١ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج١
٢٩٢ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج٢
- ديف روينسون وجودي جروفز
وليم كلي رايت
سير أنجوس فريزر
نخبة
جوردون مارشال
زكي نجيب محمود
إنوارد مندوثا
جون جرين
هوراس / شلي
أوسكار وايلد وسمونيل جونسون
جلال آل أحمد
ميلان كونديرا
جلال الدين الرومي
وليم جيفور بالجريف
وليم جيفور بالجريف
توماس سي . باترسون
س. س. والترز
جوان آر. لوك
روملو جلاجوس
أقلام مختلفة
فرانك جوتيران
بريان فورد
إسحق عظيموف
فرانسيس ستونر سوندرز
يريم شند وأخرون
مولانا عبد الحليم شرر الكهنوي
لويس وليبيرت
خوان روافو
يوريبندس
حسن نظامي
زين العابدين المرابي
أنتوني كينج
بيفيد لودج
أبو نجم أحمد بن قوص
جورج مونان
فرانشيسكو رويس رامون
فرانشيسكو رويس رامون
- ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : محمود سيد أحمد
ت : عبادة كحيلة
ت : فاروچان كازانچيان
ت : بإشراف : محمد الجوهري
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
ت : علي يوسف علي
ت : لويس عوض
ت : لويس عوض
ت : عادل عبد المنعم سويلم
ت : بدر الدين عرودي
ت : إبراهيم الدسوقي شتا
ت : صبري محمد حسن
ت : صبري محمد حسن
ت : شوقي جلال
ت : إبراهيم سلامة
ت : عنان الشهاوي
ت : محمود علي مكي
ت : ماهر شفيق فريد
ت : عبد القادر التمساني
ت : أحمد فوزي
ت : ظريف عبد الله
ت : طلعت الشايب
ت : سمير عبد الحميد
ت : جلال الحفناوي
ت : سمير حنا صادق
ت : علي اليمبي
ت : أحمد عثمان
ت : سمير عبد الحميد
ت : محمود سلامة علاوي
ت : محمد يحيى وأخرون
ت : ماهر البطوطي
ت : محمد نور الدين
ت : أحمد زكريا إبراهيم
ت : السيد عبد الظاهر
ت : السيد عبد الظاهر

ت : نخبة من المترجمين	روجر آلان	٢٩٣ - مقدمة للأدب العربي
ت : رجاء ياقوت صالح	بوالو	٢٩٤ - فن الشعر
ت : بدر الدين حب الله الديب	جوزيف كامبل	٢٩٥ - سلطان الأسطورة
ت : محمد مصطفى بدوي	وليم شكسبير	٢٩٦ - مكبث
ت : ماجدة محمد أنور	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهواني	٢٩٧ - فن النحويين اليونانية والسوريانية
ت : مصطفى حجازي السيد	أبو بكر تافاوايلويه	٢٩٨ - مأساة العبيد
ت : هاشم أحمد قزاد	جين ل. ماركس	٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية
ت : جمال الجزيري وبهاء جاهين	لويس عوض	٣٠٠ - أسطورة برومتيوس مج ١
ت : جمال الجزيري ومحمد الجندي	لويس عوض	٣٠١ - أسطورة برومتيوس مج ٢
ت : إمام عبد الفتاح إمام	جون هيتون وجودي جروفز	٣٠٢ - فتجنشتين
ت : إمام عبد الفتاح إمام	جين هوب ويورن فان لون	٣٠٣ - بوذا
ت : إمام عبد الفتاح إمام	ريوس	٣٠٤ - ماركس
ت : صلاح عبد الصبور	كروزيو مالابارته	٣٠٥ - الجلد
ت : نبيل سعد	جان - فرانسوا ليوتار	٣٠٦ - العناسة - النقد الكانطي للتاريخ
ت : محمود محمد أحمد	ديفيد باينو	٣٠٧ - الشعور
ت : ممدوح عبد المنعم أحمد	ستيف جونز	٣٠٨ - علم الوراثة
ت : جمال الجزيري	انجوس چيلاتي	٣٠٩ - الذهن والمخ
ت : محيي الدين محمد حسن	ناجي هيد	٣١٠ - يونج
ت : فاطمة إسماعيل	كولنچورد	٣١١ - مقال في المنهج الفلسفي
ت : أسعد حليم	وليم دي بويز	٣١٢ - روح الشعب الأسود
ت : عبد الله الجعدي	خابير بيان	٣١٣ - أمثال فلسطينية
ت : هويدا السباهي	جينس مينيك	٣١٤ - الفن كعلم
ت : كاميليا صبحي	ميشيل بروندينو	٣١٥ - جرامشي في العالم العربي
ت : نسيم مجلى	أ. ف. ستون	٣١٦ - محاكمة سقراط
ت : أشرف الصباغ	شير لايموفا - زنيكين	٣١٧ - بلاغ
ت : أشرف الصباغ	نخبة	٣١٨ - الأدب الروس في السنوات العشر الأخيرة
ت : حسام نايل	جايتز ياسيفياك وكريستوفر نوريس	٣١٩ - صور نريدا
ت : محمد علاء الدين منصور	مؤلف مجهول	٣٢٠ - لمعة السراج لحضرة التاج
ت : نخبة من المترجمين	ليفي برو فنسال	٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج ٢
ت : خالد مفلح حمزة	ديليو، إيوجين كلينباور	٣٢٢ - وجهات نظرية في تاريخ الفن العربي
ت : هانم سليمان	تراث يوناني قديم	٣٢٣ - فن الساتورا
ت : محمود سلامة علاوي	أشرف أسدي	٣٢٤ - اللعب بالنار
ت : كرستين يوسف	فيليب بوسان	٣٢٥ - عالم الآثار
ت : حسن منقر	جورجين هايرماس	٣٢٦ - المعرفة والمصلحة
ت : توفيق علي منصور	نخبة	٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة
ت : عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	٣٢٨ - يوسف وزليخة
ت : محمد عيد إبراهيم	قد هيوز	٣٢٩ - رسائل عيد الميلاد

- ٢٢٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت مارفن شيرد
٢٢١ - عندما جاء السرددين ستيفن جرائ
٢٢٢ - رحلة شهر العسل وقصص أخرى نخبة
٢٢٣ - الإسلام في بريطانيا نبيل مطر
٢٢٤ - لقطات من المستقبل آرثر س. كلارك
٢٢٥ - عصر الشك ناتالي ساروت
٢٢٦ - متون الأهرام نصوص قديمة
٢٢٧ - فلسفة الولاء جوزايا رويس
٢٢٨ - نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند نخبة
٢٢٩ - تاريخ الأدب في إيران ج٢ علي أصغر حكمت
٢٣٠ - اضطراب في الشرق الأوسط بيرش بيربيروجلو
٢٤١ - قصائد من رلكه راينر ماريا رلكه
٢٤٢ - سلامان وأيسال نور الدين عبد الرحمن بن أحمد
٢٤٣ - العالم البرجوازي الزائل نادين جورديمر
٢٤٤ - الموت في الشمس بيتر بلانجوه
٢٤٥ - الركض خلف الزمن بونه ندائي
٢٤٦ - سحر مصر رشاد رشدي
٢٤٧ - الصبية الطائشون جان كوكتو
٢٤٨ - المتصوفة الأولون في الأدب التركي جا محمد فؤاد كوبرولي
٢٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة آرثر والديرون وآخرين
٢٥٠ - بانوراما الحياة السياحية أقلام مختلفة
٢٥١ - ميادئ المنطق جوزايا رويس
٢٥٢ - قصائد من كفافيس قسطنطين كفافيس
٢٥٣ - الفن الإسلامي في الأندلس (متنسية) ياسيليو بابون مالدونالد
٢٥٤ - الفن الإسلامي في الأندلس (نباتية) ياسيليو بابون مالدونالد
٢٥٥ - التيارات السياسية في إيران حجت مرتضى
٢٥٦ - الميراث المر بول سالم
٢٥٧ - متون هيرميس نصوص قديمة
٢٥٨ - أمثال الهوسا العامية نخبة
٢٥٩ - محاورات يارمنيدس أفلاطون
٢٦٠ - أنثروبولوجيا اللغة أندريه جاكوب ونويلا باركان
٢٦١ - التصحر : التهديد والمجابهة آلان جرينجر
٢٦٢ - تلميذ باينيرج هاينرش شيورال
٢٦٣ - حركات التحرر الأفريقي ريتشارد جيبسون
٢٦٤ - حدائث شكسبير إسماعيل سراج الدين
٢٦٥ - سام باريس شارل بويلير
٢٦٦ - نساء يركضن مع النشاب كلاريسا بنكولا
- ت : سامي صلاح
ت : سامية دياب
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : بكر عباس
ت : مصطفى فهمي
ت : فتحى العشري
ت : حسن صابر
ت : أحمد الأنصاري
ت : جلال السعيد الحفناوي
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : فخري لبيب
ت : حسن حلمي
ت : عبد العزيز بقوش
ت : سمير عبد ربه
ت : سمير عبد ربه
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : جمال الجزيري
ت : بكر الطور
ت : عبد الله أحمد إبراهيم
ت : أحمد عمر شاهين
ت : عطية شحاتة
ت : أحمد الأنصاري
ت : نعيم عطية
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : علي إبراهيم علي منوفي
ت : محمود سلامة علاوي
ت : بدر الرفاعي
ت : عمر الفاروق عمر
ت : مصطفى حجازي السيد
ت : حبيب الشاروني
ت : ليلى الشرييني
ت : عاطف معتمد وأمال شاوور
ت : سيد أحمد فتح الله
ت : صبري محمد حسن
ت : نجلاء أبو عجاج
ت : محمد أحمد حمد
ت : مصطفى محمود محمد

ت . البراق عبد الهادي رضا	نخبة	٢٦٧ - القلم الجريء
ت : عابد خزندار	جيرالد برنس	٢٦٨ - المصطلح السردى
ت : فوزية العشماوى	فوزية العشماوى	٢٦٩ - المرأة فى أدب نجيب محفوظ
ت : فاطمة عبد الله محمود	كليرلا لويت	٢٧٠ - الفن والحياة فى مصر الفرعونية
ت : عبد الله أحمد إبراهيم	محمد قزاد كويريلى	٢٧١ - التصوف الأولون فى الأدب التركى ج٢
ت : وحيد السعيد عبد الحميد	وانغ مينغ	٢٧٢ - عاش الشباب
ت : على إبراهيم على منوفى	أميرتو إيكو	٢٧٣ - كيف تعد رسالة دكتوراه
ت : حمادة إبراهيم	أندريه شديد	٢٧٤ - اليوم السادس
ت : خالد أبو اليزيد	ميلان كوتيرا	٢٧٥ - الخلود
ت : إيوار الخراط	نخبة	٢٧٦ - الغضب وأحلام السنين
ت : محمد علاء الدين منصور	على أصغر حكمت	٢٧٧ - تاريخ الأدب فى إيران ج٤
ت : يوسف عبد الفتاح فرج	محمد إقبال	٢٧٨ - المسافر
ت : جمال عبد الرحمن	سنيل بات	٢٧٩ - ملك فى الحقيقة
ت : شيرين عبد السلام	جوتتر جراس	٢٨٠ - حديث عن السيارة
ت : رانيا إبراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	٢٨١ - أساسيات اللغة
ت : أحمد محمد نادى	بهاء الدين محمد إسفنديار	٢٨٢ - تاريخ طبرستان
ت : سمير عبد الحميد إبراهيم	محمد إقبال	٢٨٣ - هدية الحجاز
ت : إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	٢٨٤ - القصص التى يحكيها الأطفال
ت : يوسف عبد الفتاح فرج	محمد على بهزادراد	٢٨٥ - مشتري العشق
ت : ريهام حسين إبراهيم	جانيت تود	٢٨٦ - نفاهاً عن التاريخ الأندلسى النسوى
ت : بهاء جاهين	جون دن	٢٨٧ - أغنيات وسوناتات
ت : محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	٢٨٨ - مواظ سعدى الشيرازى
ت : سمير عبد الحميد إبراهيم	نخبة	٢٨٩ - من الأدب الباكستانى المعاصر
ت : عثمان مصطفى عثمان	نخبة	٢٩٠ - الأرشيفات والمدن الكبرى
ت : منى الدرويسى	مايف بينشى	٢٩١ - الحافلة الليلكية
ت : عبد اللطيف عبد الحليم	فرناندو دى لاجرانخا	٢٩٢ - مقامات ورسائل أندلسية
ت : نخبة	ندوة لويس ماسينيون	٢٩٣ - فى قلب الشرق
ت : هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	٢٩٤ - القوى الأربع الأساسية فى الكون
ت : سليم حمدان	إسماعيل فصيح	٢٩٥ - أيام سياوش
ت : محمود سلامة علاوى	تقى نجارى راد	٢٩٦ - السافاك
ت : إمام عبد الفتاح إمام	لورانس جين	٢٩٧ - نيتشه
ت : إمام عبد الفتاح إمام	فيليب تودى	٢٩٨ - سارتر
ت : إمام عبد الفتاح إمام	ديفيد ميروفيتس	٢٩٩ - كامى
ت . باهر الجوهري	مسيائيل إنده	٤٠٠ - مومو
ت : ممنوح عبد المنعم	زيانون ساردر	٤٠١ - الرياضيات
ت . ممنوح عبد المنعم	ج . ب . مالك ايفوى	٤٠٢ - هوكنج
ت : عماد حسن بكر	تودور شتورم	٤٠٣ - ربة للطرق والملابس تصنع الناس

٤٠٤ - تعويذة الحسى

ليفيد إبرام

ت : ظبية خميس

٤٠٥ - إيزابيل

أندريه جيد

ت : حمادة إبراهيم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٥٨٤٧ / ٢٠٠٢



18

في أواخر حياة «جيد» بدأ الناس يتحدثون عنه بنوع من التعظيم والتبجيل انعكس على الكاتب الكبير سلباً، فملاؤه الغرور الذي يصيب كثيرين من الكُتّاب والفلاسفة حينما يرفضون كل غيب ديني وأية قاعدة لا تفرزها عقولهم، نلمس صدى ذلك في هذه العبارات على لسان «تيزيه» أحد أبطاله معبراً عن خلاصة تجارب «جيد» في حياته الطويلة: «لقد أقمت مدينتي، ومن بعدى سيسكنها فكري مخلداً إلى الأبد، وأنا أشعر بالرضا لأنى أطرق باب الموت وحيداً، فقد تمتعت بخيرات الأرض، ويطيب لى أن أتصور أن الناس من بعدى ويفضلى سيكونون أسعد حالاً، وأفضل وضعاً، وأكثر حرية، ومن أجل خير الأجيال البشرية القادمة، قمت بعملى: لقد عشت حياتي».

أما عن «إيزابيل» فهي من أكثر كتابات «جيد» اعتدالاً، فإذا كان «جيد» يهاجم التزمّت البغيض عند رجل الدين والرقابة الشديدة التي فرضها الوالدان على الفتاة، فإنه يؤيد «إيزابيل» في إسرافها في الانطلاق والتحرر من كل قيد.